

بلوغ الأماني

في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني
رضي الله عنه

تأليف

محمد زاهد بن الحسن الكوثري



وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقاً

١٤١٨ هـ — ١٩٩٨ م

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الباشا - خلف الجامع الأزهر الشريف - ت : ٨٤٧-١٢٠٨

من تراث الكوثري

(٩)

بلوغ الأمانى

فى سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيبانى

رضى الله عنه

بقلم

محمد زاهد بن الحسن الكوثري

وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً

حقوق الطبع محفوظة



الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأراك خلف الجامع الأزهر الشريف ت: ٥١٢٠٨٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى فضل بعض الفقهاء على بعض • أرشد طوائف منهم الى وجوه الفرق فيما بين الواجب والفرض • ووسع مداركهم فى دقائق المسائل ، وانا ر عقولهم الى تعرف مراتب الدلائل • والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالحنيفية السمحة البيضاء • وعلى آله المطهرين الأصفياء • وصحبه القادة الأتقياء • ما اتفقت قرائح الفقهاء لاستنباط أحكام الشريعة الغراء •

وبعد ، فان تاريخ الفقه يشهد بأن الكتب المؤلفة فى مذاهب الأئمة المتبوعين من المدونة والحجة والأم وما بعدها إنما ألفت على ضوء كتب ذلك الإمام العظيم أبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنه ، ولم تزال كتبه بأيدي الفقهاء من كل مذهب قبل حلول قرون التقليد البحت يتداولونها ويستفيدون منها تقديراً منهم لما امتازت به — على سبقتها — من رصافة فى التعبير ، ووضوح فى البيان ، وإحكام فى التأصيل ، ودقة فى التفريع مع التدليل على مسائل ربما تعزب أدلتها عن علم كثير من الفقهاء من أهل طبقته فضلاً عن بعدهم ، على توسعها فى توليد المسائل فى الأبواب بحيث ينبىء عن تغلغل مؤلفها فى أسرار العربية ويده البيضاء فى اكتشاف أسرار التشريع ، من غير أن تظهر على كلامه شهوة الافراد والشذوذ عن الفقهاء عندما يناقشهم فى آرائهم ، ولا التحيل والتشغيب فى سبيل الدعوة إلى آراء استبانت له بخلاف ما ابتلى به كثير ممن ينتمى إلى الفقه • بل ينوه بفضل شيوخه عليه ويسجل أقوالهم فى مؤلفاته عرفاناً منه لجميلهم ، ولم يغره اتساع علمه بل زاده إخلاصاً إلى إخلاص فكافأه الله سبحانه على ذلك بأن بارك فى علمه حتى أصبحت كتبه لحة الكتب المدونة فى جميع المذاهب بدون مغالاة ، وأدام الانتفاع بكتبه مدى القرون •

وأنت ترى أنه لم يصل إلينا من أى فقيه فى طبقة أو فى طبقة تقارب طبقة ، كتب فى الفقه قدر ما وصل إلينا من مؤلفاته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء •

وقد جمعت فى هذه الأوراق ما يسهل نقله ولا يحسن جهله من سيرة ذلك الإمام الجليل عرفانا لجميله ، وإثارة لبعض النواحي من تاريخ الفقه ، وإثارة لاهتمام أهل الشأن بأحياء مآثره ، وسميت هذه العجالة (بلوغ الأمانى فى سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيبانى) جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ، وهو حسبي ونعم الوكيل •

نسبه ومولده ومنبت أرومته

هو الإمام المجتهد أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى نسباً على ما ذكره الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادي الشافعى فى كتاب التحصيل فى أصول الفقه ، وأقره الجلال السيوطى فى (جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب) وغالب أهل العلم على أنه شيبانى ولواء ولا نسباً والله أعلم • وغلط من قال فى جده واقده بدل فرقد وقد ترجم ابن عساكر لوالده فى تاريخ دمشق ووصفه بالغنى والثروة • وقال القاضى أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز البصرى - شيخ الإمام أبى جعفر الطحاوى - : محمد بن الحسن ، أصله من قرية قرب الرملة بفلسطين أعرفها وأعرف قوماً من أهلها ، ثم انتقلوا إلى الكوفة هـ • أخرجه أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد الصيمرى بسنده إليه فى كتابه (أخبار أبى حنيفة وأصحابه) •

وقال محمد بن سعد كاتب الواقدي فى الطبقات الكبرى : محمد ابن الحسن ، أصله من الجزيرة وكان أبوه فى جند الشام فقدم واسط فولد محمد بها سنة اثنتين وثلاثين ومائة هـ • وهو الصحيح فى ميلاده

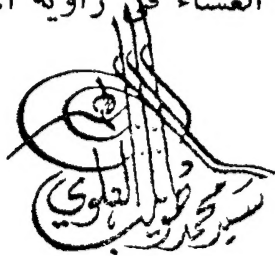
وعليه أطبقت كلمات من ورخه من الأقدمين ، وأما ما حكاه ابن عبد البر في الانتقاء ونقله ابن حلكان في (وفيات الأعيان) من أنه ولد سنة خمس وثلاثين ومائة فسهو محض . وقال الخطيب في تاريخ بغداد : محمد بن الحسن ، أصله دمشقي من أهل قرية تسمى حرستا (بمهمات بفتحين فسكون قرية مشهورة بغوطة دمشق) قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط ونشأ بالكوفة اه .

ولعل الصواب أن أصله ، من الجزيرة - من منتجع بنى شيبان من ديار ربيعة - ثم صار والده في جند الشام ، وأثرى فأقام أهله مرة في حرستا ومرة بقرية في فلسطين وكلتاها من أرض الشام ، ومن هناك انتقلوا إلى الكوفة وفي أثناء إقامة أبويه بواسط لأجل عمل كان والده تولاه بها ولد محمد ثم عادوا إلى الكوفة وبها كانت نشأته والله أعلم .

مبدأ امره واتصاله بأبي حنيفة

كان محمد بن الحسن رحمه الله ذكيا متقد الذهن ، سريع الخاطر ، قوى الذاكرة ، ذا نفس وثابة إلى المعالي ، جميل الخلق والخلق للغاية ، سمينا خفيف الروح ، ممتلئاً صحة وقوة . نشأ في بلهنية العيش ببيت والده السرى المثرى بالكوفة ،

ولما بلغ سن التمييز تعلم القرآن الكريم وحفظ منه ما تيسر له حفظه وأخذ يحضر دروس اللغة العربية والرواية وكانت الكوفة إذ ذاك مهد العلوم العربية ، ودار الحديث والفقه منذ نزلها كبار الصحابة واتخذها على بن أبي طالب كرم الله وجهه عاصمة الخلافة . ولما بلغت سنه أربع عشرة سنة حضر مجلس أبي حنيفة ليسأله عن مسألة نزلت به . فسأله قائلاً : ما تقول في غلام احتلم بالليل بعد ما صلى العشاء ؟ هل يعيد العشاء . قال : نعم ! فقام وأخذ نعله وأعاد العشاء في زاوية المسجد .



وهو أول ما تعلم من أبي حنيفة فلما رآه يعيد الصلاة أعجبه ذلك وقال :
إن هذا الصبي يفلح إن شاء الله تعالى . وكان كما قال ، ثم ألقى الله
سبحانه في قلبه حب التفقه في دين الله بعد أن رأى جلال مجلس الفقه
فعاد إلى المجالس يريد التفقه فقال له أبو حنيفة : استظهر القرآن أولاً .
لأن المتفقه على طريقة أبي حنيفة في حاجة شديدة إلى ذلك لأنه مادام
الاحتجاج بالقرآن ميسوراً لا يعدل عنه إلى حجة سواء وله المنزلة الأولى
في الحجة عنده حتى إن عموماته قطعية فيما لم يلحقه تخصيص .

ويظهر أن محمد بن الحسن لم يكن إذ ذاك جيد الاستظهار للقرآن
فغاب سبعة أيام ثم جاء مع والده وقال : حفظته . وسأل أبا حنيفة عن
مسألة فقال له أبو حنيفة : أخذت هذه المسألة من غيرك أم أنشأتها من
نفسك ؟ فقال محمد : من عندي فقال أبو حنيفة : سألت سؤال الرجال ،
أدم الاختلاف إلينا وإلى الحلقة . ومن ذلك الحين أقبل محمد بن الحسن
إلى العلم بكليته يلزم حلقة أبي حنيفة ، ويكتب أجوبة المسائل في مجلسه
ويدونها وبعد أن لازمه أربع سنين على هذا الوجه مات أبو حنيفة رضى
الله عنه ثم أتم الفقه على طريقة أبي حنيفة عند أبي يوسف هذا ما يتعلق
بفقه أبي حنيفة .

وأما الحديث فقد سمعه من أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما من
مشايخ كثيرة بالكوفة والبصرة والمدينة ومكة والشام وبلاد العراق
بل جسع إلى علم أبي حنيفة وأبي يوسف علم الأوزاعي ، والثوري ،
ومالك رضى الله عنهم حتى أصبح إماماً لا يبلغ شأوه في الفقه قويا في
التفسير والحديث حجة في اللغة باتفاق أهل العلم ممن لم يصب بتعصب
وهو القائل ورثت ثلاثين ألفاً فصرفت نصفها في اللغة والشعر والنصف
الآخر في الفقه والحديث كما صح ذلك عنه بطرق .

ويعلم مبلغ انصرافه إلى العلم مما رواه الذهبي في جزئه الذي ألفه
في ترجمة محمد بن الحسن ، وابن أبي العوام الحافظ عن الطحاوي

عن أبي خازم عن بكر بن محمد العمى عن محمد بن سماعة أنه قال :
 كان محمد بن الحسن قد انقطع قلبه من فكره فى الفقه حتى كان الرجل
 يسلم عليه فيدعو له محمد فيزيده الرجل فى السلام فيرد عليه ذلك الدعاء
 بعينه الذى ليس من جواب الزيادة فى شىء ، ومما رواه أبو خازم أيضا
 قال حدثنى ابن بنت محمد بن الحسن قال قلت لأبى صفى ما كان جدى
 يعمل فى منزله قالت : كان والله يابنى يكون فى هذا البيت وحوله الكتب
 ما كنت أسمع له كلمة غير أنى كنت أراه يشير بحاجبه واصبعه •
 وذكر الذهبى فى جزئه والصيمرى والخطيب بسندهما عن محمد بن سماعة
 أنه قال : ان محمد بن الحسن قال : لأهله لا تسألونى حاجة من حوائج
 الدنيا تشغلوا قلبى ، وخذوا ما تحتاجون إليه من وكيلى فانه أقل لهمى
 وأفرغ لقلبى اه • ومن خصه الله سبحانه بمثل تلك المواهب وأقبل إلى
 العلم هذا الاقبال وأخلص هذا الاخلاص لابد وأن تشر مساعيه هذا
 الاثمار رضى الله عنه ونفعنا ببركات علومه •

شيوخه فى الحديث

أما مشايخه فى الحديث :

فمن أهل الكوفة أبو حنيفة ، واسماعيل بن أبى خالد الأحمسى ،
 وسفيان بن سعيد الثورى ، ومسعر بن كدام ، ومالك بن مغول ، وقيس
 ابن الربيع ، وعمر بن ذر ، وبكير بن عامر ، وأبو بكر النهشلى عبد الله بن
 قطاف ، ومحل بن محرز الضبى ، وأبو كدينة يحيى بن المهلب البجلي ،
 وعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودى ، واسرائيل بن يونس ،
 وبدر بن عثمان ، وأبو الاحوص سلام بن سليم ، وسلام بن سليمان ،
 وأبو معاوية الضرير محمد بن خازم ، وزفر بن الهذيل ، وأبو يوسف
 القاضى ، واسماعيل بن ابراهيم البجلي ، وفضيل بن غزوان ، والحسن
 ابن عمارة ، ويونس بن أبى اسحاق السبيعى ، وعبد الجبار بن العباس
 الهمدانى ، ومحمد بن أبان بن صالح القرشى ، وسعيد بن عبيد الطائى ،
 وأبو فروة عروة بن الحارث الهمدانى ، وأبو زهير العلاء بن زهير •

ومن أهل المدينة مالك بن أنس ، وإبراهيم بن محمد بن أبي يحيى ،
وعبيد الله بن عمر بن حفص العمري ، وأخوه عبد الله ، وخارجة بن
عبد الله بن سليمان ، ومحمد بن هلال ، والضحاك بن عثمان ، وإسماعيل
ابن رافع ، وعطاف بن خالد ، وإسحاق بن حازم ، وهشام بن سعد ،
وأسامة بن زيد الليثي ، وداود بن قيس الفراء ، وعيسى بن أبي عيسى
الخياط ، وعبد الرحمن بن أبي الزناد ، ومحمد بن عبد الرحمن بن
أبي ذئب ، وخثيم بن عراك .

ومن أهل مكة سفيان بن عيينة الكوفي نزيل مكة ، وزمعة بن صالح ،
وإسماعيل بن عبد الملك ، وطلحة بن عمرو ، وسيف بن سليمان ،
وإبراهيم بن يزيد الأموي ، وزكريا بن إسحاق ، وعبد الله بن عبد الرحمن
ابن يعلى الثقفي الطائفي .

ومن أهل البصرة أبو العوام عبد العزيز بن الربيع البصري ، وهشام
ابن أبي عبد الله ، والربيع بن صبيح ، وأبو حرة واصل بن عبد الرحمن ،
وسعيد بن أبي عروبة ، وإسماعيل بن إبراهيم البصري ، والمبارك بن فضالة .

ومن واسط عباد بن العوام ، وشعبة بن الحجاج ، وأبو مالك
عبد الملك النخعي .

ومن أهل الشام أبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعي ، ومحمد بن راشد
المكحولي ، وإسماعيل بن عياش الحمصي ، وثور بن يزيد الدمشقي .

ومن خراسان عبد الله بن المبارك .

ومن أهل اليمامة أيوب بن عتبة التيمي وغير هؤلاء من أهل تلك
البلاد وغيرها ولم يزهّد في الرواية عن أقرانه وعن هو دونه كما هو شأن
الأكابر في روايتهم عن الأصاغر .

بعض أصحابه وتلاميذه وجملة ممن اخذ عنه

ولما طار صيت محمد بن الحسن في الآفاق وسارت بتصانيفه الركبان قصده أناس من أقاصى البلدان للتعرفه عنده حيث كان بلغ أعلى مراتب الاجتهاد وإن كان يحافظ على اتسابه لأبي حنيفة النعمان عرفانا لجميل يده عليه في الفقه ، ولم يضع استمراره على اتسابه هذا من مرتبته إلا عند من لا يعرف مراتب الرجال .

ويصعب استقصاء من تخرج به فكتفى هنا بذكر جملة من أصحابه وتلاميذه ليعلم أنه شيخ المجتهدين في عصره : فمنهم أبو حفص الكبير البخاري أحمد بن حفص العجلي - ومنه كان البخاري تلقى فقه أهل الرأي وجامع الثوري قبل رحلته - ، وأبو سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني وبه انتشرت الكتب الستة في مشارق الأرض ومغاربها ، وأبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي أحد الأئمة الأربعة ، وأبو عبيد قاسم بن سلام الهروي ذلك الإمام المجتهد الكبير ، وعمرو بن أبي عمرو الحرائي ، ومحمد بن سماعة التميمي ، وعلى بن معبد بن شداد الرقي من جملة من روى الجامع الكبير والجامع الصغير ، ومعلی بن منصور الرازي ، وأبو بكر بن أبي مقاتل ، وأسد بن الفرات القيرواني مدون مذهب مالك وشيخ سحنون ، ومحمد بن مقاتل الرازي شيخ ابن جرير ، ويحيى بن معين الغطفاي امام الجرح والتعديل ، وعلى بن مسلم الطوسي ، وموسى بن نصر الرازي ، وشداد بن حكيم البلخي ، والحسن بن حرب الرقي ، وابن جبلة ، وأبو العباس حميد ، وأبو التوبة ربيع بن نافع الحلبي ، وعبيد الله بن أبي حنيفة الدبوسي ، وأبو بريد عمرو بن يزيد الجرمي ، ومصعب بن عبد الله الزيري ، وأيوب بن الحسن النيسابوري ، وخلف بن أيوب البلخي ، وعلى بن صبيح ، وعقيل بن عنبسة ، وعلى بن مهران ، وعمرو بن مهير ، ويحيى بن أكثم ، وأبو عبد الرحمن المؤدب مؤدب آل شبيب ، وعلى بن الحسن الرازي ، وهشام بن عبيد الله الرازي ،



وأبو جعفر أحمد بن محمد بن مهران النسوي راوي الموطأ عنه ، وشعيب ابن سليمان الكيسانى راوي الكيسانيات عنه ، وعلى بن صالح الجرجاني راوي الجرجانيات عنه ، واسماعيل بن توبة القزويني راوي السير الكبير عنه ، وأبو بكر ابراهيم بن رستم المروزي راوي النوادر عنه ، وأبو زكريا يحيى بن صالح الوحاظي الحمصي من شيوخ البخاري بالشام ، وأبو موسى عيسى بن أبان البصري راوي الحجج على أهل المدينة عنه ومؤلف كتاب الحجج الكبير وكتاب الحجج الصغير وكتاب الرد على المريسي والشافعي في شروط قبول الأخبار ، وسفيان بن سحبان البصري صاحب كتاب العلل وغيرهم •

ومحمد بن عمر الواقدي روى عنه كما روى هو عن الواقدي وذلك من رواية الأقران بعضهم من بعض • ونكتفي بذكر هذا المقدار ممن تفقه لديه وأخذ عنه •

رحلته إلى مالك وسماعه الموطأ من لفظه

وعندما بدأ الموطأ يذيع في أوائل عهد المهدي رحل محمد إلى مالك ولازمه ثلاث سنين وجملة ما سمعه من لفظ مالك من الحديث نحو سبعمائة حديث مسند كما صح ذلك بطرق عنه • وسمع من سائر شيوخ المدينة في هذه الرحلة زيادة على ما كان سمعه منهم في رحلاته السابقة •

وللموطأ نحو اثنتين وعشرين رواية تختلف زيادة ونقصاً يشير الى بعض ذلك الدارقطني في جزء ألفه في اختلاف الموطآت واتفقها ، وموطأ محمد يعد من أجود الموطآت ان لم يكن أجودها مطلقاً لأنه سمعه من لفظه بترو في مدة ثلاث سنوات ، ولأنه يذكر بعد أحاديث الأبواب ما اذا كانت تلك الأحاديث مما أخذ به فقهاء العراق أو خالفوه مع سرد الأحاديث التي بها خالفوا تلك الأحاديث • وهذه ميزة عظيمة يمتاز بها موطأ محمد عن باقي الموطآت ، كما أن موطأ يحيى الليثي المتوفى سنة

أربع وثلاثين ومائتين يمتاز عن الباقي بسرده آراء مالك في مسائل بعد ذكره الأحاديث ، وإنما كان ملك كتب الموطأ لنفسه لئلا يغلط هو عند إسماعه لأحاديثه لا لأجل أن ينسخوه ويتداولوه ، ولذلك كان مالك يتصرف فيه زيادة ونقصا عند كل سماع . فاختلفت النسخ باختلاف سماع الرواة فيكون كل راو هو المدون لروايته باعتبار سماعه عليه لا بمجرد النسخ من نسخته ، وهذا هو سر اختلاف نسخ الموطأ إلى نحو اثنتين وعشرين نسخة فيعلم من ذلك أن عمل محمد في الموطأ يعد عملاً جليلاً جداً عند من يعنى بأحاديث الأحكام على أن أحاديث الخجارج كانت مشتركة بين علماء الأمصار معاومة لهم مروية عندهم لكثرة حججهم وزيارتهم ولا يفوتهم شيء منها في الغالب . وإنما المهم معرفة ما إذا كانوا أخذوا بتلك الأحاديث أم تركوها لأدلة أخرى وقام محمد في موطنه بتعريف ذلك حيث بين مواطن الأخذ كما بين مواضع الترك بأدلة .

بعض ما جرى بينه وبين مالك ومقارنة أهل العلم بينهما

روى الخطيب بسنده إلى مجاشع بن يوسف أنه قال : كنت بالمدينة عند مالك وهو يفتي الناس فدخل عليه محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وهو حدث (وذلك قبل أن يرحل إليه لسماع الموطأ منه) فقال : ما تقول في جنب لا يجد الماء إلا في المسجد ؟ . فقال مالك : لا يدخل جنب المسجد . قال فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة وهو يرى الماء ؟ قال : فجعل مالك يكرر لا يدخل جنب المسجد . فلما أكثر عليه قال له مالك : فما تقول أنت في هذا ؟ . قال يتيمم ويدخل فيأخذ الماء من المسجد ويخرج فيغتسل . قال : من أين أنت ؟ قال : من أهل هذه - وأشار إلى الأرض - ثم نهض . قالوا : هذا محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة . فقال مالك : محمد بن الحسن ، كيف يكذب وقد ذكر أنه من أهل المدينة ؟ . قالوا : إنما قال من أهل هذه وأشار إلى الأرض . قال هذا أشد على من ذاك اه . ويقال : إن محمد بن الحسن حضر

يوماً مجلس مالك فوجده يقول ما مضاه ، لا تصدقوا أهل العراق ولا تكذبوهم وأنزلوهم منزلة أهل الكتاب . فلما بصر مالك بمحمد ، تغير وخجل وجعل يقول : هكذا كان يقول بعض مشايخنا . والله أعلم بصحة هذا الخبر . وروى أبي اسماعيل الهروي في ذم الكلام بسنده إلى الشافعي كأنه سمع محمد بن الحسن يقول : رأيت مالكا وسألته عن أشياء فما كان يحل له أن يفتي . ثم ذكر ما جرى بين الشافعي وبين محمد بن الحسن من الأخذ والرد في ذلك على زعمه . ونفط ابن عبد البر في الاقتناء ، أن محمد بن الحسن قال : ما كان على صاحبكم أن يتكلم وما كان لصاحبنا أن يسكت . يريد أن مالكا ، لم يكن متعينا للاقتناء بحيث يجب عليه أن يفتي في وقت خاص ، لوجود علماء في طبقته وفيهم من هو أعلى كعباً منه في ذلك الوقت ، وأما أبو حنيفة فلم يكن في عهده من هو أكفاً منه في الفتيا وأيقظ منه في الفقه حتى تعين للاقتناء ووجب عليه أن يفتي .

وهذا أمر لا يظهر إلا لمن يعلم مراتب علماء المدينة في عهد مالك ، ومراتب علماء العراق في زمن أبي حنيفة فعلى تقدير صحة هذا أو ذلك من محمد يظهر أن محمد بن الحسن ، وإن كان يقر لمالك بكونه قنوة في الحديث لكنه لم يكن يراه بهذه المرتبة في الفقه ولعل ذلك من كثرة ما كان يسمع منه من قوله : لا أدري في المسائل ، وبطئه في الجواب كما أنه لم يكن يرى عنده ما تعود أن يراه في علماء العراق من سرعة خاطر ، والاجابة الحاضرة على اطراد في التفريع واتساق في التأصيل . ومثل محمد بن الحسن لا يلام في المقارنة بين أهل العلم ولكل عالم رأيه في المقارنة بين العلماء لكن لا يخفى أن مالك بن أنس رضى الله عنه ما كان يجب إلا في النوازل وكان يأبى الخوض في جواب ما لم يقع ، وهذا هو الباعث على قلة إجابته عن المسائل حتى إن الموطأ من رواية يحيى الليثي الذي حوى آراء مالك مع أحاديثه ، لم يشتمل إلا على نحو ثلاثة آلاف مسألة ، وربما يكون هذا المقدار أقل بكثير مما ينتجه

أبو حنيفة وأصحابه في نحو ثلاثة أشهر . وأما كثرة المسائل في أسعة
المتأخرين المروية عن مالك فليست مما يطمئن إليها القلب كما يتبين ذلك
مما قالوه في عبد الملك بن حبيب وصاحب العتبية ومن بعدهما وقصارى
القول فيها أنها تخريجات على رأى مالك .

وصفوة القول : أن محمد بن الحسن سمع الموطأ من مالك لكنه
كان يرى أن في آرائه ما يرد عليه حتى صنف كتاب (الحجج) المعروف
بالاحتجاج على أهل المدينة وتوجد نسخة مخطوطة منه في المكتبة
المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم ١٢٤ ونسخة أخرى في مكتبة
(نور عثمانية) باصطنبول تحت رقم ١٤٩٢ وفيهما نقص وكنت اطلعت
قبل سنين متطاوله على كراريس غلب على ظنى أنها من الكتاب المذكور .
تحتوى على أبواب خلت منها النسختان المذكورتان ثم سميت جهدى
أخيراً لأهتدى إلى موضع وجود تلك الكراريس من الجامع في خزانات
اصطنبول على بعد الدار لكن لم أهتد إلى موضع وجود تلك الكراريس
بين الجامع للحفوظة بها ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . وهو كتاب
قلما تجد له نظيراً في كتب الردود وقلنى فيما رد به الشافعى على مالك
أثر ذلك الكتاب ملموساً في جميع خطوات الرد الوارد ولا تجد مثل
تلك الالاجادة فيما رد به الشافعى على محمد في بعض مسائله .

وكثير من أهل العلم يفضل محمد بن الحسن على بعض مشايخه
في الفقه فضلاً عن مشايخه في الحديث . وقال الحافظ أبو القاسم بن
أبى العوام السعدي سمعت الطحاوي يقول قال سمعت محمد بن سنان
يقول سمعت عيسى بن سليمان يقول : لما قدم يحيى بن أكثم مع المأمون
يريد مصر لقي يحيى بن صالح الوحاظي (من مشايخ البخارى بالشام)
فقال له : يا أبا زكريا أيما كان أكثر تيقظاً مالك بن أنس أو محمد بن
الحسن ؟ فقال له يحيى بن صالح : كان محمد بن الحسن فائماً مستثقلاً
أيقظ من مالك جالساً مجتمعاً . وروى الخطيب ، بسنده عن يحيى بن



صالح أنه قال : قال لي ابن أكرم : قد رأيت مالكا وسمعت منه ورافقت
محمد بن الحسن فأيهما كان أفقه ؟ • فقلت : محمد بن الحسن [فيما يأخذه
لنفسه] أفقه من مالك ا هـ • وما بين القوسين هكذا في النسخة المطبوعة
ولعله مدرج من مصحح الطبع • وقال الذهبي : انتهت إليه رئاسة الفقه
بالعراق بعد أبي يوسف ونفقه به أئمة وصنف التصانيف وكان من
أذكاء العالم ا هـ •

صلته بتكوين مذهب مالك ونفقه أسد بن الفرات

عنه محمد بن الحسن

كان أسد بن الفرات خرج من القيروان الى الشرق سنة اثنين
وسبعين ومائة فسمع الموطأ على مالك بالمدينة وكان أصحاب مالك ؛
ابن القاسم وغيره يحملونه على السؤال عن مسائل حيث كان مالك يتلطف
معه ويجيبه عن مسأله دونهم لكونه رحل اليه من بلد بعيد لكن لما أكثر
السؤال أخذ مالك يتضايق من ذلك حتى قال له يوماً : (سلسلة بنت
سلسلة اذا كان كذا كان كذا إن أردت هذا فعليك بالعراق) • وفي لفظ
أنه سأل مالكا يوماً عن مسألة فأجابه عنها فزاد أسد في السؤال فأجابه
ثم زاده فقال له مالك : (حسبك يا مغربي إن أحببت الرأي فعليك
بالعراق) • فوجد أسد أن الأمر يطول عليه عند مالك ويفوته ما يرغب
فيه من لقي الرجال والرواية عنهم فرحل الى العراق فلقى أبا يوسف
وناوله نسخته من الموطأ بروايته ، بطلب من أبي يوسف فاطلع على أحاديث
الموطأ برواية أسد ، ولما بلغ ذلك محمد بن الحسن قال : أبو يوسف
يكتفى بشم العلم • يريد أنه لم ير حل مثله لسماح الموطأ بل اكتفى
بالتناول من يد من يطلب العلم عنده • لكن أبا يوسف قديم الطلب
للحديث وعنده سعة في رواية الآثار إذ ذاك فيكفيه أن يطلع على نسخة
صحيحة من الموطأ وأما محمد بن الحسن فانما سمعه من مالك وهو
في سن الطلب قبل أن يتسنع في معرفة الآثار فشتان ما بين الحالتين ،

فلعل هذا الكلام لا يثبت عن محمد بن الحسن وإن عزاه إليه بعض قدماء المغاربة بدون سند . فسمع أسد بن الفرات بالعراق من أصحاب أبي حنيفة وتفقه عليهم : منهم أبو يوسف القاضي ، وأسد بن عمرو البجلي ، ومحمد بن الحسن وغيرهم من فقهاء العراق وكان أكثر اختلافه إلى محمد بن الحسن ولما حضر عنده قال له : (انى غريب قليل التفقه ، والسماع منك نزر ، والطلبة عندك كثير فما حيلتى ؟) . فقال محمد : اسمع مع العراقيين بالنهار ، وقد جعلت لك الليل وحدك فقيت عندي وأسمعك . وقال أسد : وكنت آبيت عنده وينزل إلى ويجعل بين يديه قدحا فيه الماء ثم يأخذ فى القراءة فإذا طال الليل ورآنى نعست ملأ يده وفضح به على وجهى فأتته فكان ذلك دأبه ودأبى حتى آتيت على ما أريد من السماع عليه اهـ . وكان محمد بن الحسن يتعهد بالنفقة بعد أن علم أن نفقته نفدت وكان فى إحدى المرات عطاء ثمانين دينارا حينما رآه يشرب من ماء السبيل ، وسعى فى نفقته عندما أراد أسد الانصراف من العراق فى حكاية طريفة يطول ذكرها وهى مسرودة فى الجزء الثانى من معالم الايمان فى تاريخ القيروان .

ولا أعلم بين أئمة العلم من كان يصبر صبر محمد بن الحسن فى تعليم تلاميذه ولا من يؤثر إثاره فى الاتفاق عليهم خلا أستاذه الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه . وأما ما يروى عن مالك رضى الله عنه من مشاطرته فى ماله للشافعى فمن قبيل تلك الحكايات المختلفة فى رحلته المكذوبة التى سنبن وجوه كونها مختلفة ولم أر روايتها فى كلام من يوثق بروايته بسند يعول على مثله بخلاف ما هنا . ومما قاله أسد عن رحلته العراقية : (بينما نحن كنا مع محمد بن الحسن يوما فى حلقة اذ أتاه رجل يتخطى الناس حتى صار اليه فسمعنا محمداً يقول : إنا لله وإنا اليه راجعون ، مصيبة ما أعظمها مات مالك بن أنس ، مات أمير المؤمنين فى الحديث) . ثم فشا الخبر فى المسجد وماج الناس حزنا لموت مالك بن أنس رضى الله عنه وكان اذا حدث عن مالك بعد ذلك اجتمع عليه الناس

وانسدت اليه الطرق رغبة منهم في حديث مالك ، واذا حدث عن غيره لم يجئه الا الخواص اه .

وهذا مصداق ما روى الخطيب بسنده عن محمد بن الحسن انه قال : ما أعلم أحداً أسوء ثناء على أصحابه منكم اذا حدثتكم عن مالك ملائمتهم على الموضوع واذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتونى متكارهين اه . ومثله في الكامل لابن عدى والالتقاء لابن عبد البر ولا عجب في ذلك فان حديث العراقيين كان قد امتلأ به العراق فهم متمكنون من سماعه متى شاءوا وأما حديث مالك إمام دار الهجرة فيحقق لهم أن يرغبوا في سماعه من مثل محمد بن الحسن ولا سيما بعد أن بلغهم نبأ وفاة مالك رضى الله عنه لبعث الدار وانقطاع عهد الرحلة اليه بوفاة مع اطراء محمد لمالك هذا الاطراء وذلك سر تضاعف الرغبات في سماع حديثه فعذر أصحابه في ذلك ظاهر .

ثم انصرف أسد من العراق بعد أن زقه محمد العلم زقا ، ومرفى طريقه إلى بلده بالمدينة المنورة ليسأل بها أصحاب مالك عن المسائل التي تلقاها من محمد بن الحسن ولم يجد عندهم ما يطلبه بل أشاروا اليه بالرحيل إلى أصحاب مالك بمصر فارتحل ولما وصل إلى مصر قصد إلى عبد الله بن وهب وقال له : هذه كتب أبي حنيفة . وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك فتورع ابن وهب وأبى فذهب إلى ابن القاسم فأجابه إلى ما طلب فأجاب فيما حفظ عن مالك ، بقوله وفيما شك قال اخال وأحسب وأظن وتسمى تلك الكتب الأسدية ثم رجع بها إلى القيروان وحصلت له رئاسة العلم بتلك الكتب . وهذا لفظ أبي اسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء ، وأما لفظ (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) فهو أن أسداً أتى إلى ابن وهب وسأله أن يجيبه في مسائل أبي حنيفة على مذهب مالك فتورع فذهب إلى ابن القاسم فأجابه عنها بما حفظ عن مالك وفي غيره يقول سمعته يقول في مسألة ، كذا وكذا ومسألتك مثلها ، ومنها

ما أجابه على أصول مالك وهذه الأسدية هي أصل مدونة سحنون
 أصلح ابن القاسم منها أشياء على يد سحنون اهـ . ولفظ ابن أبي حاتم
 في الجرح والتعديل عند ترجمة عبد الرحمن بن القاسم في المجلد الرابع
 منه ، كان أسد سأل محمد بن الحسن عن مسائل ثم قدم مصر فسأل
 ابن وهب أن يجيبه فيما كان عنده منها عن مالك ، وما لم يكن عنده
 عن مالك منها فمن عنده فلم يفعل فأتى عبد الرحمن بن القاسم
 فتوسع له فأجابه على هذا فالناس يتكلمون في هذه المسائل اهـ .
 ونقل ابن عبد البر نص هذه العبارة في الاقتضاء . وابن وهب يغلب
 عليه الرواية فمثله لا بد وأن يأبى وأما ابن القاسم فقد لازم مالكا
 نحو عشرين سنة ييقظة واتباه يسمع منه ويتفقه عليه ومثله يكون
 أكثر إقداما على مثل ذلك والمالكية يفضلونه على باقي أصحاب مالك
 في الفقه وأما كلام الناس في مسائل ابن القاسم هذه فلاستبعادهم
 استظهار هذا المقدار العظيم من المسائل عن مالك بحدوث كتاب مدون
 عنده لكن الحفظ من مواهب الله سبحانه ، وذكر في معالم الايمان
 أن أسد بن القرات بعد أن أبى ابن وهب مر بأشهب فسأله عن
 مسألة فأجابه فقال له أسد : من يقول هذا مالك أو أبو حنيفة ؟ .
 فقال أشهب : هذا من قولي عافاك الله . فقال له : إنما سألتك عن قول
 مالك وأبى حنيفة فتقول هذا قولي . فدار بينهما كلام فقال عبد الله بن
 عبد الحكم لأسد : مالك ولهذا ؟ رجل أجابك بجوابه فان شئت فاقبل
 وان شئت فاترك . ففرق بينهما ، فأتى أسد إلى عبد الرحمن بن القاسم
 وسأله كما سبق . ويقال إن أشهب أزدري مالكا وأبا حنيفة مرة حيث
 انجر الكلام إلي ذكرهما في مجلسه فقال له أسد يا أشهب يا أشهب
 يا أشهب . فأسكته الطلبة . وقيل له : ماذا أردت أن تقول له قال :
 أردت أن أقول له : مثلك ومثلها ، مثل رجل أتى بين بحرین فبال فرغى
 بوله فقال : هذا بحر ثالث . ويقال بل قال ذلك له مشافهة كما في معالم
 الايمان والله أعلم .

ولا يخفى أنه لولا الكتب التي تلقاها أسد من محمد في فقه
أبي حنيفة وقدمها لابن القاسم ليجاوبه عن مسائلها على مذهب مالك
عن ظهر القلب لما تمكن أسد من الإجابة في السؤال ولا ابن القاسم
من الجواب عن كل مسألة يسأله في أبواب الفقه على ترتيب أهل
العراق فعلى ضوء كتب محمد تم تدوين أسد لتلك المسائل التي هي
أصل مدونة سحنون . ولما أراد أسد الانصراف إلى المغرب بتلك
المسائل التي دونها في ستين كتابا وسماها الأسدية قام عليه أهل
مصر فسألوه في كتاب الأسدية أن ينسخوه فأبى عليهم فقدموه إلى
القاضي بمصر . فقال لهم القاضي : وأي سبيل لكم عليه ؟ رجل سأل
رجلا فأجابه وهو بين أظهركم فاسألوه كما سأله . فرغبوا إلى القاضي
في سؤاله أن يقضى حاجتهم . فسأله القاضي فأجابه إلى ذلك -
فنسخوها حتى فرغوا منها ونسخت نسخة أخرى منها في نحو ثلاثمائة
رق (وهو المراد بالجلد في لفظ ابن أبي حاتم) لتبقى عند ابن القاسم .
ولا بأس أن نشير هنا إلى أن الصلة بين المذهبين ليست مقتصرة على كون
أسد دون مذهب مالك على ضوء كتب محمد بل كان مالك كثير
المذاكرة في الفقه مع أبي حنيفة كلما زار الثاني المدينة المنورة وذكر
غير واحد من أهل العلم كيف كان يذاكره في الفقه بالمسجد النبوي
إلى أن ينبج ضوء الفجر في ليالي إقامة أبي حنيفة بالمدينة المنورة .
وذكر القاضي عياض في أوائل المدارك أن الليث بن سعد رأى مالكا
وهو يعرق فسأله : أراك تعرق . فقال مالك : عرقت مع أبي حنيفة
إنه لفقيه يامصرى . وأخرج ابن أبي العوام الحافظ عن يوسف بن أحمد
المكي عن محمد بن حازم الفقيه عن محمد بن علي الصائغ عن إبراهيم بن
محمد عن الشافعي عن عبد العزيز الدراوردي : أن مالكا كان ينظر
في كتب أبي حنيفة^(١) ويستفح بها كما في الجزء الرابع من فضائل

(١) ومما يذكر في مؤلفات الأقدمين من كتب أبي حنيفة كتاب الرأي
ذكره ابن أبي العوام وكتاب اختلاف الصحابة ذكره أبو عاصم العاصمي

أبى حنيفة ، بالمكتبة الظاهرية بدمشق فى مجموعة محفوظة بها تحت رقم ٦٢ وعلى ذلك الجزء طباق وساعات وبه تتم نسخة دار الكتب المصرية لأن بها خرما حاولوا اتمام قصصها بخط حديث إلا أنها لا تزال ناقصة فهو وضع الخط الحديث فى حاجة إلى النسخة الدمشقية المذكورة ، وترى فى الأم بعض مسائل يقول الشافعى فيها رواية عن الدراوردي : أخذها مالك عن أبى حنيفة بل روى الطحاوى عن الدراوردي أنه قال : كان عند مالك نفسه من مسائل أبى حنيفة نحو ستين ألف مسألة كما نقله مسعود ابن شيبة فى كتاب التعليم له عن الطحاوى إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة التى ليس هذا موضع استقصائها وإنما طرقت هذا البحث عرضاً ليعلم من لا يعلم أن الأئمة المتبوعين مثل أسرة واحدة ترى مالكا يذاكر أبا حنيفة فى العلم فى المسجد النبوى وينتفع بكتبه ومحمد بن الحسن يسمع الموطأ من مالك ، والشافعى يسمع الموطأ على مالك ويتفقه على محمد بن الحسن ، وأحمد يتفقه عند أبى يوسف والشافعى وينتفع بكتب محمد بن الحسن ، وبهذا فالوا بركة العلم . وأما ما يروى من كلام بعضهم فى بعض فأكاذيب لفقها أعداء الدين ، وانخدع بها من انخدع من بسطاء أتباعهم راجع كلام الباجى فى شرحه على حديث الداء العضال من المنتقى شرح الموطأ (ج ٧ ص ٣٠٠) وأنت تعرف منزلة أبى الوليد الباجى هذا فى الحديث والفقه وأصول الدين وعظم شأنه فى مذهب مالك .

وأسد هذا هو ناشر مذهب أبى حنيفة ومالك بأفريقية ثم اقتصر على نشر مذهب أبى حنيفة فانتشر فى ديار المغرب لحد الأندلس حتى أصبح الأكثرون فى أفريقية على هذا المذهب الى عهد ابن باديس وترجم

ومسعود بن شيبة وكتاب الجامع ذكره العباس بن مصعب فى تاريخ مرو وكتاب السير وكتاب الأوسط والفقه الأكبر والفقه الأيسر وكتاب العالم والمتعلم وكتاب الرد على القدرية ورسائله إلى عثمان البتى فى الأرجاء وعدة وصايا كتبها لعدة من أصحابه وهذه الكتب مشهورة .

لأسد بن الفرات هذا ، القاضى عياض فى المدارك وابن فرحون فى طبقات المالكية وقوسع فى ترجمته صاحب معالم الايمان فى تاريخ القيروان جد التوسع ، وأسد هذا هو فاتح صقلية وناشر الاسلام بها وبها توفى سنة ثلاث عشرة ومأتين ولهذه الصلة الأكيدة بين المذهبين ترى أهل الغرب يعتبرونهما بحرين وما سواهما ساقية يستغنى عنها مع إخاء صادق بين الفريقين المتذهبين بالمذهبين كما شرح ذلك صاحب أحسن التقاسيم عند ذكره للقيروان وكذلك ترى بعض كبار الفقهاء من المالكية يقول : إذا لم تكن فى مسألة رواية عن مالك يؤخذ بقول أبى حنيفة فيها ، بل حصر بعضهم الخلاف بينهما فى اثنتين وثلاثين مسألة • راجع قمع أهل الزيغ والالحاد عن الطعن فى تقليد أئمة الاجتهاد للشيخ محمد الخضر الشنقيطى المالكى (ص ٦٦ - ٦٧) • ولعلنى لم أخرج عن الموضوع فيما أفضت فيه هنا •

رحلة الشافعى إلى محمد بن الحسن وتفقهه عنده

كان محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه تفقه على مسلم بن خالد الزنجى بمكة ثم رحل إلى المدينة وهو ابن نحو أربع عشرة سنة فعرض الموطأ على مالك وسمع من إبراهيم بن محمد بن أبى يحيى الأسلمى منافس مالك بالمدينة ثم رجع إلى مكة وسمع من ابن عيينة ثم ارتحل إلى اليمن للعمل عند بعض الولاة لصيق ذات يده فبقى باليمن يتقلب فى الأعمال غير منصرف إلى العلم إلى أن ألقى القبض عليه بتهمة الانحياز للعلويين هناك ضد العباسية وحمل إلى العراق سنة أربع وثمانين ومائة ولما برئت ساحته من التهمة ألهم التفقه عند محمد بن الحسن حتى اتصل به ولازمه ملازمة كلية واستنسخ مصنفاته بصرف نحو ستين ديناراً وانصرف إلى التفقه عنده انصرافاً تاماً إلى أن سمع منه حمل بختى من الكتب ليس عليها إلا سماعه وأخذ يعتلى شأنه وأصبحت هذه المحنة منحة كبرى فى حقه لكونها مبدأ اعتلاء قدره •

ومما كتبه إليه في أول قدومه يستبطن إعاره كتاب كان طلبه من
محمد بن الحسن :

قل للذي لم ترعي من رآه مثله
حتى كأن من رآ ه قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله أن يمنعه أهله
لعله يبذله لأهله لعله

فوجه به إليه في الحال هدية لا عارية كما نقله ابن الجوزي بهذا
اللفظ في المنتظم عن الطحاوي وروى ابن عبد البر هذه الحكاية مع
آيات الشافعي هذه بسنده إليه في جامع بيان العلم . ولفظ الصيمري ،
حدثنا أبو إسحق النيسابوري المعروف بالبيع قال حدثنا محمد بن يعقوب
الاصم قال حدثنا الربيع بن سليمان قال كتب الشافعي إلى محمد بن
الحسن وقد طلب منه كتبه لينسخها فأخراها عنه فكتب إليه - تلك الآيات
- قال فأفخذ الكتب إليه من وقته اهـ . وذكر أبو إسحق الشيرازي
أيضاً هذه القصة مع تلك الآيات في طبقات الفقهاء من غير سند ،
ومن المعلوم أن الشافعي رأى مالكا ووكيعة بن الجراح وابن عيينة وقد
اعترف في تلك الآيات أنه لم ير مثل محمد بن الحسن وعده يمثل علم
أبي حنيفة الذي لم يدركه الشافعي ولم يكن من الشعراء الذين يتزلفون
بكل وسيلة فمثل هذا الكلام لن يصدر عن مثله إلا وقلبه يواطىء لسائه .

وقد ذكر الذهبي في تاريخه الكبير : قال أبو علي الصواف حدثني
أحمد بن الحسن الحماني سمعت أبا عبيد يقول رأيت الشافعي عند محمد
ابن الحسن وقد دفع إليه خمسين ديناراً وكان قد دفع إليه قبل ذلك
خمسين درهماً وقال إن اشتيت العلم فالزم قال أبو عبيد فسمعت الشافعي
يقول كتبت عن محمد بن الحسن وقر بعير ولما أعطاه محمد قال لا تحتشم

قال لو كنت أقت عندي ممن أحتشمه ما قبلت برك . تفرد به الحماني وهو مجهول لكن قول الشافعي حملت عن محمد وقر بختي صحيح رواه ابن أبي حاتم ما تم قال حدثنا الربيع قال سمعت الشافعي يقول حملت عن محمد بن الحسن حمل بختي ليس عليه إلا سماعي قال أبو حاتم ثنا أحمد بن أبي سريج الرازي سمعت الشافعي يقول أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً ثم تدبرتها فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثاً انتهى ما قاله الذهبي . ومثله فيما لخصه ابن قاضي شهبة من تاريخ الذهبي بخطه أقول كان محمد بن الحسن يخفي بره لتلاميذه ولا يتسرب أمره إلى الرواة إلا من الذين كان ينفق هو عليهم وفي الرواية من هذه الجهة شيء وإن كان كثير البر خصوصاً في حق الشافعي كما روى عن الشافعي نفسه بطرق فيبعد أن يعطيه شيئاً والناس يشاهدون ذلك .

ومهم جداً أن يكون الشافعي حمل من محمد حمل جمل كتبنا ليس عليها إلا سماعه لأن ما سمعه عليه ومعه العراقيون في مجلسه العام يكون عليه سماعه وسماع الآخرين . وأما الذي ليس عليه إلا سماعه فهو الذي سمعه هو خاصة في مجالس خاصة كما فعل محمد بن الحسن مثل ذلك مع أسد بن القرات وأبي عبيد وغيرهما من أئمة عصره في عهد طلبهم للعلم وهذا الصبر العجيب من محمد مع تلاميذه لا يشاركه أحد من الأئمة سوى أبي حنيفة فيما نعلم كما سبق .

وروى ابن أبي حاتم عن محمد بن إدريس وراق الحميدي عن الحميدي عن الشافعي أنه قال في صدد بيان ملازمته لمحمد بن الحسن : (فلزمته وكتبت عنه وعرفت أقاويلهم وكان إذا قام ناظرت أصحابه فقال لي : بلغني أنك تناظر أصحابي فناظرني في الشاهد واليمين فاستنعت فألح على فتكلمت معه فرفع هو ذلك إلى الرشيد فأعجبه ووصلني اهـ) . وبهذا يظهر كيف كان محمد بن الحسن يدرجه على المناظرة وكيف كان يلفت نظر إعجاب أمير المؤمنين إليه كما يظهر بذلك أيضاً مبلغ أدب الشافعي

مع محمد بن الحسن يأبى الكلام معه كمنظر على خلاف ما فى تلك المناظرات المختلفة التى لا تجرى بين الأستاذ وتلميذه الذى تلقى منه حمل بختى من العلم مع اعترافه بفضلته عليه بكل وسيلة وعرفانه لجمله فى كل لحظة .

وكم لمحمد بن الحسن من أباد بيضاء على الشافعى حتى قال الشافعى: أمن الناس على فى الفقه محمد بن الحسن . رواه الخطيب عن الحسن ابن محمد الخلال عن على بن عمرو الجريدى عن على بن محمد النخعي عن أحمد بن حماد بن سفيان عن المزني عنه ، وذكر السمعاني عن البويطى عن الشافعى أنه قال : أعاننى الله برجلين بآبن عيينة فى الحديث وبمحمد فى الفقه . وعن الربيع عن الشافعى : ليس لأحد على منة فى العلم وأسباب الدنيا ما لمحمد على وكان يترحم عليه فى عامة أوقاته ، وعن ابن سماعة أن محمد بن الحسن جمع من أصحابه نحو مائة ألف درهم لأجل الشافعى مرة بعد أخرى وروى الذهبى فى جزئه عن ادريس بن يوسف القراطيسى أنه سمع الشافعى يقول : ما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد كآفه عليه زل . وكل ذلك مما يدل على أن الشافعى كان عظيم الاجلال لمحمد بن الحسن كبير الأدب فى معاملته معه .

وبعد الاحاطة بما ذكرنا يظهر أن المناظرات التى تروى بغير طريقة سؤال التلميذ من أستاذه فيما يستشكله ، مناظرات خيالية ملفقة مستولدة لا ترد إلا مجردة عن الأسانيد بالمرّة أو بأسانيد مركبة ، فمنها ما يرويه الخطيب عن ابن رزق عن أبى عمرو بن السماك عن التمار عن أحمد بن خالد الكرمانى عن المقدمى من المناظرة بين محمد والشافعى بمجلس الرشيد . فابن رزق بعد أن عمى وهرم لازمه الخطيب وأكثر من الرواية عنه ومثل هذا التحمل لا يخفى حاله وأبو عمرو بن السماك مغموز برواية الأخبار الثائرة والكرمانى مجهول ولفظ المقدمى لفظ الانقطاع وفى المتن ما تكذبه شواهد الحال وليس ذلك من الطراز الذى يجرى

بين الطالب وشيخه في مثل ذلك المجلس على أن رد الشافعي على مالك وأهل المدينة أقسى من رد محمد بن الحسن عليهم فكيف يعيره الشافعي بما هو أخف مما وقع فيه - فدونك كلام محمد بن الحسن في كتاب الحجج وكلام الشافعي في الأم وكلامه المنقول في مناقب الشافعي لابن حجر في ذلك فقارن بين الكلامين حتى تتيقن أيهما أقسى وأيها أرعى لأدب الصجاج - أم كيف يتصور أن يصدر من الشافعي مثل هذا التشبيب المحكى مع ظهور أن الرد موجه إلى مالك بحجة •

وكيف يعارض الشافعي محمد بن الحسن باعتبار أن قبول شهادة القابلة زيادة على الكتاب وأين في الكتاب ما يمنع قبول شهادة القابلة كما يقول أبو بكر الرازي حتى يذكر في هذا الموضع وإنما ذكر الله تعالى الشهادات في المداينات والوصية في السفر والرجعة أو المفارقة والزنا وأما الشهادة في الولادة فلا ذكر لها في القرآن ، وكذلك كيف يقول الشافعي إن عبد الله بن نجى مجهول وقد عرفه أهل الشأن ودونك كتب الرجال ، وجابر وإن تكلم فيه أبو حنيفة كما في علل الترمذي لكن وثقه الثوري وروى عنه شعبة مع تشدده فمحمد بن الحسن غير ملزم بقبول قول أبي حنيفة لأنه مجتهد مثله ومعه الثوري وغيره •

وحكاية السيف والنطع حكاية روائية لا حقيقة لها فلا محمد بن الحسن يقف هذا الموقف في مثل هذه المسألة المشروحة أدلتها في كتبه المؤلفة قبل اتصال الشافعي به ولا الشافعي يجهل ما أشرنا إليه فملنق هذه المناظرة أساء إلى الشافعي وهو يريد الاحسان إليه لكن هكذا تكون صداقة الجاهل • وقد جرينا في ذكر هذه المناظرة المزعومة على ما في الأصل فإن المطبوع فيه تخطيط بهذا اللوضع ومثلها حكاية لوح مغصوب سمر على سفينة كما أشرنا إليه في موضع آخر •

وذكر ابن حجر في مناقب الشافعي بطريق الساجي عن يحيى بن اكثم انه قال : كنا عند محمد بن الحسن في المناظرة كثيراً فكان الشافعي رجلاً

قرشى العقل والفهم والذهن صافى العقل والفهم والدماغ سريع الاصابة
ولو كان أمين فى الحديث لاستغنت به أمة محمد عن غيره من العلماء اهـ .
ومن المشهور بين الذين ترجموا لابن اكرم انه ولى قضاء البصرة سنة
اثنين ومائتين وكاف سنة إذ ذاك فهو عشرين سنة حتى إن أهل البصرة
استصغروه فأجابهم بما أجاب فكيف يمكنه أن يحضر مجالس المناظرة
عند محمد سنة أربع ومائتين ومائة على أن ابن اكرم خراسانى المولد تأخر
قدومه إلى العراق جداً . فآثار الاختلاق ظاهرة على هذه الرواية وإن
لم ينبه عليها ابن حجر والله اعلم .

وأما ما أخرجه الخطيب عن ابن رزق عن أبى عمرو بن السماك عن
التمار عن الربيع عن الشافعى انه قال : ما فاضت أحداً إلا تغير وجهه
ما خلا محمد بن الحسن . ففيه تحويل (ما سألت) الى (ما فاضت)
ليجمل الشافعى نظير شيخه يناظره . وفى هذه الرواية ابن رزق
وإبن السماك وهما معروفان . والرواية الصحيحة التى لا مغزى فيها حتى
عند الخطيب نفسه هى ما أخرجه الصيمرى حيث قال ثنا العباس بن أحمد
الهاشمى ثنا على بن عمرو الجربرى ثنا على بن محمد النخعى ثنا أحمد بن
حناد بن سفيان عن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعى يقول :
ما سألت أحداً عن مسألة إلا تبين لى تغير وجهه إلا محمد بن الحسن اهـ .
ومثله فى الالتقاء (ص ٦٩) حيث قال حدثنا خلف بن القاسم نا الحسن
ابن رشيق نا محمد بن يحيى الفارمى ايا الربيع بن سليمان سمعت الشافعى
يقول : وما رأيت أحداً سئل عن مسألة فيها نظر إلا رأيت الكراهة فى وجهه
إلا محمد بن الحسن اهـ . فسوق الخطيب لتلك الرواية المشوهة دون
هذه الرواية الصحيحة من دسائسه المكشوفة والفرق بينهما ظاهر .

وأما ما أخرجه الحاكم من أن الشافعى كلمه فى الاثفار فسنده ليس
بذاك وفيرى الشافعى من أن يثبت عنه مثل ذلك وأبو الحسن القابسى
تكلم فى ابن شعبان راجع السند فى تخريج أحاديث الراعى الابن حجر .

وأما ما أخرجه الخطيب في ترجمة الشافعي (ج ٢ ص ٦١) عن أبي الطيب الطبري عن علي بن إبراهيم بن أحمد البضاوي عن أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقي أنه قال سمعت الربيع بن سليمان يقول : ناظر الشافعي محمد بن الحسن بالرقعة فقطعه الشافعي مبلغ ذلك هرون الرشيد فقال هرون : أما علم محمد بن الحسن أنه إذا ناظر رجلا من قريش يقطعه سائلا ومجيبا ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : قدسوا قريشا ولا تقدموها وتعلموها منها ولا تعلموها فان ظلم العالم منهم يسع طباق الأرض اهـ . فحكاية مكذوبة في سندها ابن الجارود وقهر الخطيب نفسه عن هذا في (ج ٢ ص ٢٤٧) : إنه كذاب . وما أدرج في الحديث من قوله (وتعلموها منها ولا تعلموها) : دس محض يخالف عمل الصحابة والتابعين المتواتر عنهم وهو اختلاق من لا يعرف على من تفقه الشافعي ؟ وقد عودنا الخطيب أن يسوق الأخبار الكاذبة من غير تنبيه على كذبها فيما إذا صادف ذلك هوى منه فلا نستغرب ذلك منه لكن القاضي أبا الطيب الطبري كنا نظن به أنه يأبى التورط فيما يتورط في مثله الخطيب وحاله كما ترى وكان في غنية عن الحكايات الكاذبة في تبیین جلالة مقدار الشافعي بما له من الفضل الجسيم والأغرب من ذلك سوق ابن حجر في مياقب الشافعي (ص ٤٧) تلك الحكاية الكاذبة وهو يعلم أنها كاذبة نسأل الله السلامة . والبيهقي ممن لا يتورع عن رواية الأكاذيب إذا صادفت هوى منه فلا يكون عذرا لابن حجر أن يكون في سندها البيهقي وهو يعلم ذلك منه .

وأما ما رواه الخطيب أيضا في ترجمة محمد بن الحسن في (ج ٢ ص ١٧٧) من أن الشافعي ناظر محمد بن الحسن وعليه ثياب رفاق فجعل تستنسخ أوداجه ويصيح حتى لم يبق له زر إلا انقطع اهـ . فمسته يغنى عن الكلام في رجال سنده أليس من المستحيل في جاری العادة انقطاع جميع أزرار الثياب برفع الصوت من لابسها وبالصياح منه ؟ بل هو شأن النوادب إذا لطمن صدورهن ومزقن ثيابهن ، وهذا يدل على أن واضع

هذه الحكاية استعجل في الوضع ليرفع من شأن الشافعي فنطق
بما يكذبه كل سامع على أن من المروى عن الشافعي بطرق صحيحة كما
أسلفنا ذكر بعضها أنه لم ير من لا يتغير حينما يسأل عن مسألة فيها نظر
سوى الإمام محمد بن الحسن ، فكيف يصح هذا منه مع ذلك وأين لفظ
أين عبد البر في الانتقاء (ص ٢٤) من هذا . حيث قال حدثنا خلف بن
قاسم قال نا الحسن بن رشيق قال نا محمد بن الربيع بن سليمان
ومحمد بن سفيان بن سعيد قال نا يونس بن عبد الأعلى قال قال لي
الشافعي : ذاكرت محمد بن الحسن يوما فدار بيني وبينه كلام واختلاف
حتى جعلت أنظر إلى أوداجه قلدر وتنقطع أزراره فكان فيما قلت له يومئذ
نشدتك بالله هل تعلم أن صاحبنا يعني مالكا كان كالمأ بكتاب الله قال
اللهم نعم ! قلت وعالمنا باختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اللهم نعم ! اه ولا غبار على هذه الرواية لأن العالم كثيرا
ما يرفع صوته على تلميذه إذا رآه يتباطأ في فهم ما يلقيه عليه وكان من
هذه القبيل رفع الصوت في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في العام
قال ابن أبي العوام الحافظ حدثني أحمد بن محمد بن سلامة قال حدثني
محمد بن العباس بن الربيع قال حدثني المصرفي (محمد بن عمرو بن
السري) قال قال هرون الرشيد لأبي يوسف : ما أحد من الناس أحب
مجالسته غيركم يا أهل الفقه لولا خفة فيكم فقلت له وما الخفة التي فيها ؟
قال ربنا رأيت الرجل منكم يقبل على الصبي الذي سنه دون سن ولده
فيعلمو صوته [عليه] قال فأخبرت به في حديث آخر ثم أريته عندها من
الخسب فقلت له كم هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال كذا وأصاب فقلت
ما الدليل على ذلك فقال من يقول غير هذا ؟ قلت الذي يخالفك وكلمته
بكلام من هذا النحو فعلا صوته ودرت أوداجه فقلت له أصاب
أمير المؤمنين قد كان من صياحه ودفعه إياي ما كان ، عن الصواب الذي
تفهمه العامة والخاصة فكيف ينكر على صياحي عند الصواب الذي
أخالف فيه ولا تفهم العامة ولا يفهمه إلا القليل من الخاصة قال فعذر

عند ذلك اهد فلعل ما في الاتقاء من هذا القليل وانظر الى كلام الخطيب كيف غير وبدل . فحكاية الخطيب مع مخالفتها للروايات الصحيحة واقتراها بما يكذبها ، بين رجال سندها دعلج بن أحمد كان يدخل عليه الوضاعون مثل أبي الحسين المطار وعلي الرصافي ما شاءوا من الأكاذيب ، والأبواب مأجور للوقية في أبي حنيفة وأصحابه والله ينتقم منه وكل ما يذكر فيه مناظرة الشافعي لمحمد بن الحسن من تلك الأخبار فملفقة مخالفة لما صح من الروايات اختلقها الكذابين على ظن أنها تروج فافتضح واضعوها من غير أن يرفعوا بها من شأن أحد لأن الموضوع من شأنه الوضع دون الرفع .

وقد روى عن الشافعي بأسانيد صحيحة ثناء بالغ في حق محمد بن الحسن مدون في تاريخ الخطيب وكتاب ابن أبي العوام وكتاب الصيمري وتهذيب النووي ومؤلفات النحوي وغيرها فضلا عما في كتاب الكردي فنستغنى عن سرد تلك الروايات هنا لشهرتها . ومن الحقائق الملموسة أنه لا يعرف للشافعي عمل يذكر في الفقه قبل اتصاله بمحمد بن الحسن بل إنما رجع الى مكة بعد أن تفقه عليه وأخذ يقارن ما تلقاه منه بنقده أهل الحجاز حتى حصلت له اختيارات أدت به الى اظهار الاجتهاد بمسند وفاة محمد بسنوات بأن عاد الى العراق سنة خمس وتسعين ومائة بمسند وفاة محمد بن الحسن بست سنوات وبقي هناك سنتين ينشر اختياراته ومذهبه القديم على رواية القديم المعروفين ، بكتاب ألفه وسماه الحجة في مجلد ضخيم وهو الذي رد عليه عيسى بن أبان كما رد على جديده القاضى بكار بمصر . ولولا أن ضيق ذات يده حمله على التقلب في الأعمال منقطعا عن العلم لكاف مواهبه أثرت قبل ذلك الحين .

وهناك رحلتان منسوبتان للشافعي ككتابها مكذوبة فأولاهما رواية عبد الله بن محمد البلوى الكذاب المشهور وقد قال ابن حجر في (توالي التأسيس بمعالي بن ادريس ص ٧١) : فقد أخرجها الأبري

والبيهقي وغيرهما مطولة ومختصرة وساقها الفخر الرازي في مناقب الشافعي يغير اسناد معتمدا عليها وهي مكذوبة وغالب ما فيها موضوع وبعضها ملفق من روايات ملفقة . وأوضح ما فيها من الكذب قوله فيها : إن أبا يوسف ومحمد بن الحسن حرضا الرشيد على قتل الشافعي وهذا باطل من وجهين أحدهما أن أبا يوسف لما دخل الشافعي بغداد كان مات ولم يجتمع به الشافعي ، والثاني أنهما كانا أئقي لله من أن يسعيا في قتل رجل مسلم . . وليس له اليهما ذنب . . وإن منصبهما وجلالتهما وما اشتهر من أمر دينهما لتصد عن ذلك والذي تحرر لنا بالطرق الصحيحة أن قدوم الشافعي بغداد أول ما قدم كان سنة أربع وثمانين ومائة وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنتين وأنه لقي محمد بن الحسن في تلك القدمة وكان يعرفه قبل ذلك من الحجاز وأخذ عنه ولازمه انتهى ما نقلناه من ابن حجر بحروفه . وقال ابن حجر أيضا في كتابه المذكور (ص ٧٠) بعد أن ساق ما أخرجه الساجي (أن محمد بن الحسن قال للرشيد لا يغلبك هذا بفصاحته ولسانه لأنه رجل لسن) : والذي نقل عن محمد بن الحسن في حق الشافعي ليس بثابت اهـ . بل الثابت منه كل عطف ومساعدة له كما سبق بل لم يرو عن الشافعي ثناء في حق أحد من الأئمة قدر ما روى عنه من الثناء على محمد بن الحسن عن جدارة منه بذلك الثناء وذلك أكبر تكذيب لاختلاق المختلقين .

وأما سعي المفتري الباهت في تمشية اختلاقه وبهتانه بأنهما كانا يحسدانه في العلم فمن أوقع فرى يفترها صفيق من حيث أن ذلك مما تكذبه شواهد الحال لأن الشافعي كان إذ ذاك في حال الطلب ولم يكن له عمل في الفقه قبل ذلك وإنما كان حضر عند بعض الشيوخ في الفقه حتى أن أحاديث الموطأ التي يقال إنه عرضها على مالك تجده يروى بعضها في كتبه بواسطة محمد وغيره عن مالك ولا تجد نسخة من رواية الشافعي للموطأ يتداولها أهل العلم على توالي القرون كتداولهم

النسخ من رواية الآخرين وهذا يدل على أنه وإن كان عرض الموطأ على مالك في مبدأ أمره لكنه لم يضبط أحاديثه ولم يستمر على مدارستها ، وكذلك لم تكن رحلته إلى اليمن لأجل العلم بل لطلب الرزق فعلى أى شيء يحسده أئمة العلم وهو فى مثل هذه الحالة ثم كيف يلزم الشافعى - وهو العالم المحسود فى علمه على زعمه - حاسده ويتلقى منه العلم ؟ وكيف يروى العلم فى كتبه عن هذا الحاسد وذلك الحاسد لو تغاضينا عن ملاحظة سيزتهما فى العلم والدين وفرضنا - كما يفرض المحال - أنهما قد يحسدان . على أن محمد بن الحسين يعترف له الصديق والعدو بأنه كان من أجهر أهل العلم صوتا فى دفع ظلم الظالمين ولو لم يكن له موقف غير موقفه فى تصحيح أمان ذلك الطالبى فى مجلس الرشيد يوم خربت السن من حصره من أهل العلم عن بيان الحق لكفاه دليلا على منزلته فى القيام بالحق والحيولة دون الظلم ، وقد علم الخاص والعام من رواية الثقات الأثبات مبلغ تعب محمد بن الحسين فى سبيل تعليم الشافعى والاتفاق عليه ، وماله من يد بيضاء نصوه وأنه ليس أحد آمن عليه فى الفقه من محمد بن الحسين .

أفلا يكون بعد ذلك كله من أكثر النكران وأسوأ القرى إختلاق إساءة بدل احسان المحسن ذلك الاحسان فلا شك أن تخليد ذلك فى الكتب يحتاج إلى صفاقة بالغة وقلة فى الدين وأن ناقل ذلك من غير تفنيده شريك للمخترق فى الاثم ، وكنا نعلم مبلغ تعصب البيهقى وتمشييه مع الهوى فى كتابه (معرفة السنن) حيث يتكلم فى الطحاوى بما هو صفة نفسه ولم يسبق أن تكلم أحد من أهل العلم فيه سوى البيهقى وهو الذى يقوى الضعيف لأجل مذهبه ويضعف القوى لأجل مذهبه بل تراه يضعف رجلا لأجل المذهب ثم يقوى ذلك الرجل بعينه لأجل المذهب وبينهما أقل من ورقتين وقد كشف الستار عن وجه البيهقى (الجواهر النقى) ونهنا على تلميذه الحافظ عبد القادر القرشى وكنا نعلم ذلك كله فى البيهقى لكن ما كنا نظن به أن يسمح دينه أن يظلد هذه

القرية المكشوفة والرحلة المكذوبة في مناقب الشافعي مع علمه بحال البلوى وبكون تلك الرحلة مكذوبة تتضمن فضائح تخالف التاريخ الصحيح لكن ظهر بذلك جلياً أن سقوط البيهقي أبعد غوراً مما كنا تصوره بكثير فتباً لهذا الضمير الميت وتباً لهذا التعصب المرذول فكم أوقع عمل البيهقي هذا أمثال ابن الجويني ، وأبي حامد الطوسي والفخر الرازي ممن لا شأن لهم في تمحيص الروايات ، في مهازل في مبدأ أمرهم اغتراراً بتخريج البيهقي لتلك الرحلة المفضوحة ، خلا ما نتج من مثل ذلك منذ عهد القفال المروزي من تعصب بارد إما لهذا الامام أو لذلك الامام بحيث يؤلم المتعصب له والمتعصب عليه مع أن تلك الأخبار ما هي إلا أقاصيص ملفقة لم تقع إلا في مخيلة رواها وكانت الشافعية من أعرف أهل العلم لجميل علماء العراق عليهم إلى أن دب ديب الفتنة بينهم بإثارة أبي حامد الاسفرايني لفتنة المزاحمة على القضاء بالكيفية المشروحة في خطط المقرئ الشافعي فقام المحدث منهم بتدوين الأخبار المكذوبة بدون تورع والفقير بتصوير عبادة مشوهة حتى استفحلت الفتنة بحيث وهت منها أركان الدولة في القرنين الخامس والسادس إلى أن انهدت في أواسط السابع وتقع تبعة هذه الكوارث على أعناق مثري تلك الفتن بأكاذيب ملفقة ، لا نالوا من ورائها دنيا ولا بقى لهم دين خالص ، ومن صرح قبل ابن حجر بكذب الرحلة المذكورة التقى ابن تيمية في منهاجه وقبله مسعود بن شيبه في كتاب التعميم وأمر البلوى مكشوف من قديم . والله سبحانه هو الهادي إلى سواء السبيل .

وأما الرحلة الثانية فهي رواية البطين عن ابن المنذر وكانت طبعت في الهند مع مسند الشافعي عن نسخة سقيمة جدا ثم أعيد طبعها بمصر بتصرف في عبارتها على أمل إزالة السقم . وتوجد في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية نسخة غير سقيمة من هذه الرحلة مغنية عن التصرف مخطوطة في القرن السابع وسعى بعضهم في إفراغها بقلب قصة رواية فانتشرت بين الجمهور .

وهذه الرحلة كأختها مكذوبة وهما في الاختلاق توأمان وقد نسبت هذه الرحلة في الطبعة الهندية التي هي أم الطبعة المصرية الى السيوطي من غير وجه كما نسبت في بعض المخطوطات الى الشعرائي بدون سبب وزادت الطبعة المصرية انها بقلم الشافعي نفسه واشتركت الطبعتان في أنهما تعتبرانها رواية الربيع الجيزي عن الشافعي ، وقد كذب العقيلي ابن المنذر في دعوى ادراكه الربيع المرادي المتوفى سنة سبعين ومأتين فكيف يتصور أن يدرك الجيزي المتوفى سنة ست وخمسين ومأتين والحق انه لا شأن للشافعي ولا للربيع ولا لابن المنذر في اثناء هذه الرحلة ولا في روايتها ، وانما اختلقها من اختلق ، بعد ابن المنذر وركب لها سنداً ولم يتعرض فيها لمحنة الشافعي أصلاً . قالبطين والكوازي مجهولان والله أعلم بحال من بعدهما إلى الفارسي ، وفي المتن ما يفنيك عن تطلب رجال السند والكشف عن أحوالهم .

فمن الأكاذيب الصريحة فيها سماع عبد الله (١) بن عبد الحكم وأشهب وابن القاسم بل الليث بن سعد ، الموطأ على مالك سنة أربع وستين ومائة بقراءة الشافعي وزمن لقي هؤلاء بمالك معروف عند أهل العلم وابن القاسم لازم مالكا الى وفاته من سنة تسع وخمسين ومائة قبل رحلة الشافعي بسنوات ولم يلقى الشافعي الليث أصلاً طول عمره وقد صح عنه أسننه العظيم على ذلك وما يعزى الى الربيع أنه قال (أحسبه) عند ذكر الليث من طرائق تلبيس الكذابين والربيع من أعلم الناس بأن الشافعي لم يلق الليث .

وادعاء رحلة الشافعي الى العراق سنة أربع وستين ومائة بعيد سماعه الموطأ على مالك أمر خيالي بحث مخالف للتاريخ الصحيح المدون في كتب النقاد ولما نقلناه آنفاً من ابن حجر من أن دخول الشافعي

(١) كان ابن تسع في تلك السنة لم يغادر مصر بعد وأشهب رحلته الى مالك قبل ذلك التاريخ .

العراق أول مرة كان سنة ١٨٤ بعد وفاة أبي يوسف بسنتين فتكون تلك
الزاعم من ملاقاته لأبي يوسف ومحمد بن الحسن ومشاهدته دينا طائلة
عندهما ومباحثته معهما وحفظه كتاب الأوسط لأبي حنيفة من خزائنه
محمد بن الحسن خلصة في ليلة واحدة من غير أن يعلم محمد بن الحسن
بذلك وتعليقه لمحمد في نقله عن كتاب الأوسط وضمن محمد بكتبه بعد
ذلك إلى آخر ما ذكر هناك كلها أكاذيب تنهار بالهيار الكذب الذي بنيت
هي عليه ، ثم تنقله في بلاد الفرس كذب صريح أيضاً ولم يذكر أحد
ممن عني بتاريخ البلدان في كتبهم حلول الشافعي بأحد تلك البلاد
فأين ذكر الشافعي في تاريخ نيسابور أو الري أو قزوین أو جرجان أو مرو
أو أصبهان وتلك التواريخ كلها بمتناول أيدي الناس . وكذلك عودته
إلى بغداد في أول خلافة الرشيد سنة إحدى وسبعين ومائة وتأليفه
كتاب الزعفراني وهو القديم (يعني كتاب الحجّة) بين عشية وضحاها
في ذلك الوقت كذب مضاعف لأن سن الزعفراني حينما قرأ القديم على
الشافعي سنة خمس وتسعين ومائة لأول مرة كانت نحو خمس عشرة
سنة فقط لم يبد عليه بعد نبات شاربه مع أنه يسرع إلى التبطين فلم
يكن الزعفراني بعد مولوداً في تاريخ سنة إحدى وسبعين ومائة فضلاً
عن أن يؤلف الشافعي الكتاب باسمه في ذلك التاريخ كما لا يخفى
ثم رحيله في التاريخ نفسه من بغداد بطريق حران وإهداء أحد تلاميذه
هناك كتاباً مؤلفه من الدقائق إليه . وتوزيع الشافعي لتلك الدقائق
العظيمة المقدار على أهل العلم من المحدثين الذين استقبلوه كالأوزاعي
وابن عيينة وأحمد بن حنبل مع أن الأوزاعي كان مات سنة سبع وخمسين
ومائة والشافعي ابن سبع ، وابن عيينة لم يفارق الحجاز منذ انتقل إلى
مكة من الكوفة بعد وفاة أبي حنيفة وكان أحمد بن حنبل صبياً ابن سبع
سنتين لا يرحل مثله في ذلك التاريخ ، ثم لقاءه مالك بن انس وهو في
غاية من الغنى ، وفي باب من الجوارى ما يزيد على ثلاثمائة جارية لا يتم
طوافهم عليهن إلا في سنة كاملة وعنده من الأموال ما لا يوجد إلا عند الملوك

وإهداء مالك إلى الشافعي جميع تلك الأموال ثم انقلاب الشافعي إلى اهله بسكة بتلك الهدايا الضخمة وتوزيعه لتلك الأموال كلها على أهل مكة ولقاؤه لأهل بيته وهو لا يمتلك شروى فقير ثم بلوغ هذا الصغر لمالك وانتهاجه من هذا الايثار العظيم ، وجعل مالك له وظيفاً مرتباً سنوياً ضخماً تقاضاه الشافعي من مالك إحدى عشرة سنة (وواضع الرحلة يادع في الحساب أيضاً فيجعل عدد السنين فيما بين ذلك التاريخ أعني سنة ١٧١ وتاريخ وفاة مالك أعني سنة ١٧٩ إحدى عشرة سنة) ، ثم ضيق ذات يده بموت مالك وانتقاله إلى مصر ، وقيام عبد الله بن عبد الحكم مقام مالك في كفايته إلى أن مات .

كل ذلك أكاذيب في أكاذيب يعجز عن تلفيقها امام حمص المذكور في شرح الشريشي على المقامات وان كان لعبد الله بن عبد الحكم يد بيضاء على الشافعي حينما حل بمصر في حدود سنة مائتين لا سنة تسع وسبعين ومائة بعد وفاة مالك رضى الله عنه فتاريخ موت مالك وتاريخ انتقال الشافعي إلى مصر وحال مالك في الزهد والتقشف كل ذلك من الأمور المعلومة عند العام والخاص ولعل هذا القدر من البيان يكفي لتبيين ما في الرحلة الثانية من الهذيان .

ولا بأس في الإشارة هنا إلى ما يتحاكوه من حديث كأنه جرى بين محمد بن الحسن والشافعي في المفاضلة بين أبي حنيفة ومالك وقد رواه ابن عبد البر في الاتقاء على لفظين من طريقين ، ورواه أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء على لفظ آخر وأبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام على لفظ رابع وابن الجوزي في مناقب أحمد على لفظ خامس ومع كل هذه الاضطرابات في رواية حادثة واحدة زاد الخطيب في الطين بلة وساق الخبر بلفظ أقطع من الفاظهم في تاريخه مع أنه يزعم أنه رواية يونس بن عبد الأعلى فإذا قارنت قول الخطيب (٢ - ١٧٧) مع رواية ابن عبد البر وقد سبقت في (ص ٢٧) وكلاهما من طريق

يونس بن عبد الأعلى تجد تصرف الخطيب الشائين وتغييره لنص الرواية
ماثلين أمامك غير قابلين للستر وإن زاد في آخر الرواية لفظ (أو ما هذا
معناه) ليتسنى له التملص من تبعة تغيير النص فإذا اتجه إليه أحدهم
وظهر للناس أن لفظ الخطيب يخالف لفظ ابن عبد البر في الرواية عن
يونس بن عبد الأعلى قال الخطيب لا لوم على في هذا التحريف لأنني
نقلت الحكاية بالمعنى فربما أكون غلطت في بعض ألفاظها أما رأيت قولي
في آخر الحكاية (أو ما هذا معناه) ؟ • هكذا أمانة الخطيب في نقل
النصوص نسأل الله السلامة •

ولا يخفى أن محمد بن الحسن أفنى عمره في فقه أبي حنيفة وسمع
الحديث من مالك ولازمه ثلاث سنين في حين أن الشافعي إنما لازم مالك
ابن أفس ثمانية أشهر فقط على ما يقال فليس من المعقول أن ينال
محمد بن الحسن من أبي حنيفة ومالك نيلاً لا يتفق مع مالهما من المنزلة
عنده في كنبه المتواترة عنه • ورواية أبي عاصم محمد بن أحمد العامري
في المبسوط تنافي تلك الروايات كلها كما نقله مسعود بن شيبة في
كتاب التعليم ، وما هو نص رواية العامري : (ان الشافعي سأل محمداً
أيما أعلم مالك أو أبو حنيفة ؟ • فقال محمد : بماذا ؟ • قال بكتاب الله !
قال : أبو حنيفة • فقال من أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ •
فقال : أبو حنيفة ، أعلم بالمعاني ومالك أهدي للألفاظ فقال : من أعلم
بأقوال الصحابة ؟ • فأمر محمد باحضار كتاب اختلاف الصحابة الذي
صنفه أبو حنيفة) إلى آخر ما ذكره العامري وهذا هو الموافق لما كان
عليه محمد بن الحسن من اجلال أبي حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى
والله تعالى أعلم •

أخذ محمد بن الحسن الفقه والحديث عن أبي يوسف

وما حدث بعد ذلك من الجفاء بينهما

كان محمد بن الحسن بعد أن مات أبو حنيفة لازم مجلس أبي يوسف
يأخذ عنه الفقه والحديث حتى تم له ما أراد من التفقه في دين الله ثم قام

محمد بن الحسن بنشر علمهما جهده وهو راوية فقه أبي حنيفة وأبي يوسف
في المبسوط والجامع الصغير والسير الصغير وناسر مذهبه نفسه في
باقي كتبه سواء ذكر أو لم يذكر أقوالهما وقد روى الطحاوي عن
ابن عمران عن محمد بن عبد الرحمن الطبري عن إسماعيل بن حماد أنه
قال : كان محمد بن الحسن يكثر إلى مجالس الحديث ويكثر نحن إلى
أبي يوسف فيجىء محمد وقد مضت مسائل ونحن نتحدث فيعيد عليه
أبو يوسف ما مضى فجاء يوماً ونحن نتحدث فسأله أبو يوسف عن مسألة
مرت من المسائل فأجاب محمد فيها بخلاف ما مضى . فقال له أبو يوسف
ليس هذا الجواب فتنازعا فيها فقال محمد ليس هذا قوله . إلى أن
دعى بالكتاب فاذا الجواب كما قال محمد بن الحسن فقال أبو يوسف
هكذا يكون الحفظ اهـ . وروى عن بعض أجلة أصحاب أبي يوسف
أنه سأل أبا يوسف عن مسألة فأجاب ثم سأل محمداً فخالفه واحتج
بدلائل . ثم قال له : إن أبا يوسف يخالفك فهل لك أن تجتمع معه
فاجتمعا في المسجد فتناظرا قال السائل ففهمت إلى قليل ثم دق الكلام
فلم أفهم .

وقال الخطيب أنبأنا أحمد بن محمد بن عبد الله الكاتب قال أنبأنا
محمد بن حميد المخرمي قال أنبأنا علي بن الحسين بن حبان قال وجدت
في كتاب أبي بخط يده قال أبو زكريا يعنى يحيى بن معين سمعت محمد
ابن الحسن صاحب الرأي وقيل له سمعت هذه الكتب من أبي يوسف .
قال : لا والله ما سمعتها منه ولكنى من أعلم الناس بها وما سمعت من
أبي يوسف إلا الجامع الصغير اهـ .

وقال ابن أبي العوام حدثني محمد بن أحمد بن حماد قال حدثني
أحمد بن القاسم البرقي أبو الحسن قال سمعت محمد بن شجاع يقول
سمعت الحسن بن زياد يقول من زعم أنه سمع هذه الكتب يعنى العتق
من أبي يوسف بالكوفة فقد كذب إنما كانت روزخا مجاز ينظر فيها بالليل

وينبسط فيها بالنهار قال محمد بن شجاع ولكنها قد قرئت على أبي يوسف ببغداد وسمعتها أصحابنا قال محمد بن شجاع سمعت إسماعيل بن الفضل وأبا علي الرازي وجماعة من أصحابنا يذكرون أن أبا يوسف سئل أسمع محمد بن الحسن منك هذه الكتب ؟ فقال أبو يوسف : سلوه • فأتينا محمداً فسألناه فقال ما سمعتها ولكن أصحابها لكم اه •

وروى الطحاوي عن ابن أبي عمير عن الطبري أنه سمع معلى بن منصور يقول : لقيني أبو يوسف بهيئة القضاء فقال لي يامعلى من تلزم اليوم ؟ • قلت ألزم محمد بن الحسن • فقال : الزمه فانه أعلم الناس • قال ثم لقيني بعد ذلك فقال لي : يامعلى من تلزم اليوم ؟ • قلت : محمد بن الحسن • قال : الزمه فانه من أعلم الناس • فحطه من المرتبة الأولى إلى الثانية اه • ولعل ذلك بسبب ما حدث بينهما من الجفاء لأجل القضاء وذلك ما رواه ابن أبي العوام عن الطحاوي عن أبي خازم عن بكر بن محمد العمى عن محمد بن سماعة انه قال : إنما كان سبب مخالطة محمد بن الحسن السلطان أن أبا يوسف شهور في رجل يولى قضاء الرقة فقال ما أعرف لكم رجلا يصلح لها غير محمد بن الحسن وهو بالكوفة فان شئتم فأشخصوه قال فبعثوا إليه فأشخصوه فلما قدم جاء إلى أبي يوسف فقال ما السبب الذي أشخصت من أجله ؟ • فقال له : شاوروني في قاض للرقة فأشرت بك ، وأردت بذلك معنى أن الله عز وجل قد بث علمنا هذا بالكوفة والبصرة وجميع المشرق فأجبت أن تكون بهذه الناحية لبيت الله عز وجل علمنا بك بها وبعدها من الشامات • فقال له محمد : سبحان الله أما كان لي في نفسي من المنزلة ما أخبر بالمعنى الذي من أجله أشخص قبل ذلك فقال له أبو يوسف : هم أشخصوك • ثم أمره أبو يوسف بالركوب فركبا جميعا حتى دخلا على يحيى بن خالد بن برمك فرفع يحيى أبا يوسف إلى جنبه وقعد محمد دونه فقال أبو يوسف ليحيى : هذا محمد فشأنكم به • فلم يزل يحيى

يخوف محمداً حتى ولي قضاء الرقة وكان ذلك سبب فساد الحال بين
أبي يوسف ومحمد اهـ . وقد ذكر الذهبي ذلك أيضاً في جزئه ، وهذا
هو السبب الوحيد لما حدث بينهما من الجفاء لأن محمد بن الحسن
كان شديد الرغبة في الابتعاد عن الحكم بالانصراف إلى العلم والتعليم
على طريقة أبي حنيفة وقد حال دون ما يتوخاه ما فعله أبو يوسف في
حقه فتألم جداً حتى هجره إلى أن مات أبو يوسف رحمه الله وهو هاجر له
بل يقال إن محمداً لم يحضر الصلاة عليه كما جرى مثل ذلك بين عثمان
وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وبين الحسن وابن سيرين وغيرهم
لكن الراجح عندي أن سبب عدم حضور محمد في جنازته ببغداد كونه
بالرقة وهو قاض بها لأن عزل محمد بن الحسن من قضاء الرقة بعد وفاة
أبي يوسف في عهد قضاء أبي البختري كما سيأتي فكيف يمكنه الحضور
في الجنازة مع إقامته بالرقة .

قال السرخسي في شرح السير الكبير : لم يذكر محمد في شيء من
كتاب السير الكبير اسم أبي يوسف لأنه صنفه بعد استحكام النفرة بينهما
وكلما احتاج إلى رواية حديث عنه قال أخبرني الثقة وهو مراده حيث
بذكر هذا اللفظ اهـ . ثم ذكر السرخسي خرافة يتحاكاها بعض الاخباريين
عن معلى وغيره بدون سند وهي أقصوصة التفاف أهل العلم حول
محمد بن الحسن وازدحام المتفهمة بمجلسه ببغداد بعد أن تولى
أبو يوسف القضاء ، وحسد أبي يوسف له وبلوغ صيت محمد إلى
الرشيذ ورغبة الرشيذ في مجالسته وتقريبه وتقدير أبي يوسف إبعاده
محمد من مجلس الرشيذ قبل أن يتصل به ويعلم مبلغ فضله بأن يقول
للرشيذ ان بمحمد سلس بول لا يستطيع معه اطالة الحديث بالمجلس
ويكلم محمداً بأن الرشيذ سريع الملل ويوصيه بالقيام عند ما يشير
أبو يوسف ثم سعيه في إبعاده عن بغداد حاضرة الخلافة بعد أن قابل
الرشيذ وأحبه . بأن يوليه قضاء مصر إلى آخر الرواية المصنوعة .
وما كان يحق السرخسي في فضله ونبله أن يملأ مثل هذه الأخلوقة

من كوة محبسه على تلاميذه الذين يحضرون عند كوة الحبس لتلقى شرح السير الكبير منه باذن من ولى الأمر ولا صحة لها مطلقا ولا يذكرها إلا بعض الاخباريين الذين يدعون الأقاصيص بدون سند لمجرد التسلية حتى لا يوجد شيء من هذا القيل في كتب الخصوم قبل زمن السرخسى وهم سراع إلى إذاعة مثلها ولو كانوا ظفروا بها لطاروا بها فرحا وأذاعوها فلا شك في كذبها واختلافها .

هى الكذب من اى النواحي اتيتها !!

فمثل أبى يوسف فى جاهه العريض وعلمه الواسع ودينه المتين ووفرة التلاميذ ، وكثرة المؤلفات - وكتاب الأمالى له وحده فى نحو ثلاثمائة جزء كما يرويه أبو عاصم العامرى - كيف يحسد تلميذه فى كثرة جماعته بل يفتخر به ثم ان محمد بن الحسن كان بالكوفة إلى أن أشخصوه للقضاء كما سبق فكيف يرى أبو يوسف فى بغداد كثرة المترددين إلى مجلس محمد فيغيطه ذلك ويحسده ثم كيف يريد إبعاده عن حاضرة الخلافة وهو لم يكن بها بل بالكوفة ، ثم كيف يخلق عليه أبو يوسف مرضا لم يكن به فهل بلغ بأبى يوسف الحمق إلى أن يمرض نفسه للافتضاح باقتداب الرشيد طبيا يداوى مرض محمد ابن الحسن وعدد الأطباء ببابه كثير أفلم يذكر فى القصة أن الرشيد كان أحبه ، ثم هو لم يشخص لقضاء مصر بل لقضاء الرقة وهى عاصمة الصيف لخلفاء بنى العباس وفى ذلك غاية القرب إلى مجالس الخلفاء على أن عادة محمد فيما يرويه عن أبى يوسف بعد هذا التجافى أن يقول حدثنى الثقة يريد أبا يوسف فكيف يمكنه أن يصف أبا يوسف بالثقة على تقدير صدور تلك المخازى منه . وهكذا تكون الأكاذيب مصحوبة فى الغالب بما يظهر اختلافها ولعل عذر السرخسى فى سرده الأقصوة على هذا الوجه انه كان فى الحبس بعيدا عن الكتب وإنما كان يملأ ما يمليه عن ظهر القلب وكانت تلك القصة علق بذهنه من قبل من

بعض كتب الأسماء ولم يتسع وقته لتحصيلها فوقع في أجبولة تخليدها
فيما يسليه وكنا نعهد منه جبلا من جبال العلم لا يترشح في أبحاثه
الفقسية فعز علينا أن نراه يسلي مثل هذه الأخلوقة المكشوفة في كتابه
الخالد لكن أبى الله أن يصح إلا كتابه كما قال الشافعي للمؤني حينما
عرض الرسالة عليه مرات وكان الشافعي يجد في كل مرة ما يصلحه
فيها فقال دعها فإن الله أبى أن يصح إلا كتابه أو ما هذا معناه •

زهد محمد بن الحسن في الحكم وبعده عن الههانة لأرباب الحكم وصراحته في بيان الحق

وقد علمت أن لأبي يوسف حق الأستاذية عليه ومع ذلك بهجرة
طول حياته بسبب حمله على قبول قضاء الرقة رغبة من أبى يوسف في
نشر علم محمد في الرقة وما والاها من الشمامات وهي رغبة محصورة
منه لكن محمد بن الحسن استاء من ذلك غاية الاستياء حيث كان يعتبره
صارفا عن العلم مع مخالفة قبول القضاء لخطأ أبى جنيفة حتى يروى
أن أبا يوسف لما قبل القضاء في أواخر عهد المهدي كان محمد غيره
بذلك فدعا عليه أبو يوسف قائلا : لا قبض الله روحه قبل أن يتلى
بالقضاء • فابتلى بقضاء القضاة قبل وفاته بمدة بعد أن عزل من
قضاء الرقة ومنع من الافتاء مدة طويلة بسبب جوابه النصريح في مسألة
أمان الطالبى المذكورة في تاريخ ابن جرير وكتاب ابن أبى العوام وكتاب
الصيمرى بأسانيدهم من طرق عديدة بالفاظ متقاربة في المعنى • قال
أبو عبد الله الصيمرى أخبرنا عمر بن إبراهيم المقرئ قال حدثنا القاضي
أبو بكر مكرم قال حدثنا أحمد بن عبيد الله الثقفى قال حدثنا أبو خازم
عبد الحميد بن عبد العزيز قال حدثنى بكر بن محمد العمى قال حدثنى
محمد بن سماعة قال سمعت محمد بن الحسن يقول لما ورد الرشيد
الرقة أحضرت فدخلت إليه أنا والحسن بن زياد وأبو البخترى وهب بن
وهب (وهو قاضى القضاة بعد وفاة أبى يوسف) فأخرج إلينا الأمان

الذى كتب ليحيى بن عبد الله بن الحسن (بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام) فلدغ إلى فقراته . . . فآثرت أمر الله والدار الآخرة فقلت بهذا أمان مؤكد لا حيلة فى نقضه (وفى لفظ الطحاوى رواية ابن أبي العوام ، فجعل ذلك الطالبى على نطح وعلى رأسه رجل فى يده سيف والطالبى يناشيد وقد كان هرون أمانه) فانتزع الصك من يده ودفع إلى الحسن ابن زياد فقراه وقال بكلمة ضعيفة لا أدرى أنها سمعت أو لم تسمع : هذا أمان فانتزع من يده ودفع إلى أبي البختري فقراه ثم قال : ما أرجئه ولا أرضاه هذا رجل سوء قد شق العصا وسفك دماء المسلمين وفعل وفعل فلا أمان له . ثم ضرب بيده إلى خفه وأنا أراه فلما خرج سكيناً فشق الكتاب نصفين ثم دفعه إلى الخادم ثم التفت إلى الرشيد فقال : أقتله ودمه فى عنقي . قال فقمنا من المجلس وأتاني رسول الرشيد يبلغنى أن لا أفتى أحداً ولا أحكم (وفى رواية أخرى وجعل للناس عبد الرحمن الهروى يفتيهم) فلم أزل على ذلك إلى أن أرادت أم جعفر أن تنقف وقفاً فوجهت إلى فى ذلك فعرفتني أنى قد نهيت عن الفتيا فكلمت هى الرشيد فأذن لى . قال محمد بن الحسن : فكنت أنا وكل من فى الدار - يعنى دار الرشيد - تتعجب من أبي البختري وهو حاكم وفتياه بما أفتى به وتقلده دم رجل من المسلمين ثم من حمله فى خفه سكيناً . قال : ولم يقتل الرشيد يحيى فى ذلك الوقت وإنما مات فى الحبس بعد مدة . (وفى رواية أخرى أنه قتل فى ذلك المجلس) قال محمد بن سماعة فى حديثه : ثم قرب الرشيد محمد بن الحسن بعد ذلك وتقدم عنده وولاه قضاء القضاة وجمله معه إلى الرى فتوفي هو والكسائى بها فى يوم واحد (وقيل مات الكسائى بعد محمد بيومين) فقال الرشيد : دفنت الفقه والنحو بالرى . وقال بكر العمى فى حديثه : إن محمد بن الحسن لما أفتى بصحة الأمان وأفتى أبو البختري بنقضه وأطلق له دمه قال له يحيى (بن عبد الله الطالبى) يا أمير المؤمنين يفتيك محمد بن الحسن وموضعه فى الفقه موضعه ،

بصحة أمانى ويفتيك هذا بنقضه ، وما لهذا وللشيا ؟ . وإنما كان أبوه
طبالا بالمدينة أ هـ . وقال الصيمرى أيضاً : أخبرنا أبو بكر الدامغانى
عن أبى جعفر الطحاوى قال حدثنا أبو عبد الله أحمد بن سهل الرازى
بحديث يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن موسى بن عبد الله
ابن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن عبد الله بن
عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق . أنه قال : أنا حاضر
هذا كله من هرون ومحمد بن الحسن وزاد فيه فلما خرج محمد
جعل يبكى حتى كثر بكاءؤه فقلت له : يا أبا عبد الله أتبكى هذا البكا من
أجل هذه الشجة - وذلك أن الرشيد كان رماه بدواة فشججه
(حينما أفتاه على خلاف هواه فى المجلس) وسالت العلماء على وجهه
وثيابه وقال له : إنما يقوى عزم هذا وأمثاله فى الخروج علينا أمت
وأمثالك - فقال : لا والله ما من أجلها أبكى ، ولكنى أبكى لتقصيرى .
قلت : وأى تقصير كان منك ؟ وقد قمت مقاماً ليس لأحد على وجه
الأرض أشرف منه . قال : كان ينبغى لما قال أبو البختري ما قلل ابن
أقول له : من أين قلت ذلك ؟ حتى أقيم عليه الحجة بنفساد ما قاله أ هـ .

وأسند ابن أبى العوام عن محمد بن سماعة أنه قال : وأمر هرون
أن تفتش كتب محمد بن الحسن خوفاً من أن يكون فيها شيء مما يحضر
الطالبين على الخروج فقال لى محمد يا أبا عبد الله (يعنى ابن سماعة)
وكان معه فى تلك المحنة) الله الله فى أمرى أحب أن تسبق إلى منزلى
فتحفظ كتبى لئلا يلقى فيها ما ليس منها ففعلت ولما فتشت كتبه لم
يوجد فيها شيء إلا مجموعة فيها فضائل على عليه السلام فأتى بها إلى
هرون الرشيد فقال (يعنى الرشيد) : عندنا أكثر من هذا . قال
الطحاوى سمعت بكار بن قتيبة يحدث بهذا الحديث عن هلال بن يحيى
عن محمد بن الحسن ويزيد بن هرون أن هارون التفت إلى محمد بن الحسن
فقال هذا أمان لم أكتبه إنما أمرت من يكتبه فما تقول فى رجل حلف
أن لا يكتب كتاباً فأمر غيره فكتبه ؟ . فقال محمد : ان كان هذا الحال

من العامة لم يحث حتى يتولى ذلك بنفسه وإن كان سلطانا حث لأن كتاب السلطان هو ما كتب بأمره . قال : فبذلك اشتد غيظ هرون عليه وفعل به ما فعل . وقال الطحاوي أيضا : قال أبو خازم في حديثه قال بكر قال ابن سساعة فلما أمر هرون بقتل الطالبى قال له : يا هرون يقول لك محمد بن الحسن والحسن بن زياد وهما فقيها الدنيا هذا أمان صحيح فلا تقبل منهما ويقول لك هذا الكذاب الدعى هو أمان فاسد فتقبل منه وتأمر بقتلى أه . يشير بذلك إلى أن أبا البختری وهب بن وهب القاضى كان مغموزا في نسبه والله أعلم .

وروى ابن أبى العوام عن الطحاوي عن أبى خازم عن بكر بن محمد العسى عن محمد بن سساعة أنه قال : كنا مع محمد بن الحسن في دار هرون الرشيد (يعنى بعد أن عزل محمد من قضاء الرقة وأصلح ما بينه وبين الرشيد بسعى أم جعفر) فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا هرون أمير المؤمنين فقام الناس إليه جميعا على أقدامهم غير محمد بن الحسن فانه ما برح مكانه فجعل هرون ينظر إليه فلما دخل أذن له دون الناس فقلت في نفسى أراه يريد أن يخلو بعقوبته على تركه القيام إليه ثم خرج محمد فاتبعته إلى منزله فسألته عن حاله فقال لما دخلت عليه قال لى إبنى عزمت على قتل مقاتلة بنى تغلب وأن أسبى ذراريهم فقلت ولم ذاك يا أمير المؤمنين ؟ . وقد صالحهم عمر بن الخطاب على ما صالحهم عليه فقال لى : ان عمر إنما كان صالحهم على أن لا يصبغوا أولادهم يعنى غمسهم فى المعمودية وقد صبغوا الأولاد فخرجوا بذلك من الأمان فقلت إن عمر قد أقرهم بعد صبغهم الأولاد على أمانهم فدل ذلك أنه قد كان أمضى لهم أمانهم بلا شريطة عليهم فيه فقال لى إن عمر إنما كان ترك قتالهم بعد ذلك لقصر المدة فقلت له ان المدة وإن قصرت بعد ذلك فانه قد كان بعده إماما عدل طالت مدتهما فلم يهيجاهم ، عثمان وعلى فدل ذلك على أنهما كانا أمضيا لهم الصلح بلا شريطة عليهم فيه فقال لى أخرج أه .

وزاد الصيمري في روايته بطريق ابن عطية وكان الحسن بن زياد
ثقیل القلب علی محمد بن الحسن فقام ودخل الناس من أصحاب الخليفة
فأمهل الرشيد يسيراً ثم خرج الآذن فقال : محمد بن الحسن • فجزع
أصحابه له فأدخل فأمهل ثم خرج طيب النفس مسروراً فقال قال لي :
مالك لم تقم مع الناس ؟ • قلت كرهت أن أخرج من الطبقة الذين جعلتني
فيهم ، إنك أهلتني للعلم فكرهت أن أخرج إلى طبقة الخدمة التي هي
خارجة منه وإن ابن عمك صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن يتمثل
له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار • وانه إنما أراد بذلك العلماء
فمن قام بحق الخدمة وإعزاز الملك فهو هيبه للعدو ومن قعد اتبع السنة
التي عنكم أخذت فهو زين لكم • قال : صدقت • ثم سأله عن
بنی تغلب - ثم ساق جوابه بنحو ما سبق - وقال في آخره : فهذا
صلح من الخلفاء بعده ولا شيء يلحقك في ذلك وقد كشفت لك العلم
ورأيتك أعلى • قال : لكننا نجربه على ما أجروه إن شاء الله أمر نبيه
بالمشورة فكان يشاور في أمره ثم يأتيه جبريل بتوفيق الله ولكن عليك
بالدعاء لمن ولاه الله أمرك ومر أصحابك بذلك وقد أمرت لك بشيء
تفرقه على أصحابك فخرج له مال كثير ففرقه أه • ومثله في تاريخ
الخطيب وتلك الأمور تدل على مبلغ صرامته في الحق سواء تعلق
بالمسلمين أو النصارى ودرجة صراحته في ادحاض الباطل وبعده عن
المداجاة والمداهنة مهما لقي في هذا السبيل وصدق عزمته في خدمة
العلم والدين •

تتف لطيفة وفوائد ثمينة يرويها بعض أصحابه عنه

ففي مناقب الكردي عن الحسن بن شهاب أنه قال رأيت محمد بن
الحسن يذهب إلى الصباغين ويسأل عن معاملاتهم وما يديرونها
فيما بينهم أه • انظر إلى هذا المجتهد العظيم كيف كان لا يكتفى
بما عنده من العلم بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وسائر

فقهاء الأمصار وبماله من السعة في العلوم العربية حتى كان يرى نفسه في حاجة إلى تعرف وجوه التعامل بين أرباب الصناعات ومعرفة وجوه الفرق بين العرف القديم والعرف الحديث الطارىء حتى يسلم كلامه من الخطأ في أى فاحية من فواحي تبين أحكام الشرع هكذا يكون بذل الجهد واجتهاد الرأى .

قال ابن أبى العوام حدثنى أبو جعفر الطحاوى قال سمعت إبراهيم بن أبى داود (البرلسى) يقول سمعت يحيى بن صالح الوحاظى يقول : حججت^(١) مع محمد بن الحسن (زميلا له) وقلت له حدثنى بكتابك فى كذا - من كتبه فى الفقه - فقال لى : ما أنشط له فقلت أنا أقرؤه عليك فقال لى : أيهما أخف على عندك قراءة إياه عليك أو قراءةك على ؟ . قلت : قراءة عليك . فقال لى : لا . قراءة إياه عليك أخف على لأنى إذا قرأته عليك استعمل بصرى ولسانى لا غير ، وإذا قرأت أنت على استعملت بصرى وذهنى وسمعى فذلك أثقل على أ ه . ونقل الذهبى أيضا فى جزئه ، والوحاظى هذا هو الذى كان يفضل محمد بن الحسن على مالك فى الفقه وهو شيخ البخارى أيضا كما سبق بيانه ، وهى فائدة طريفة .

وذكر البدر الزركشى فى البحر المحيط أن محمد بن الحسن قال : إذا كننا نقبل رواية أهل العدل وهم يعتقدون أن من كذب فسق فلأن نقبل رواية أهل الأهواء وهم يعتقدون أن من كذب كفر . أولى أ ه .

قال ابن أبى العوام سمعت محمد بن أحمد بن حماد يقول سمعت محمد بن شجاع يقول سمعت معلى بن منصور الرازى يقول : كان محمد

(١) وما فى تاريخ الخطيب (٢ - ١٧٩) عن اسمعيل بن عياش فى حجتهما ، فى سنده على انقطاعه ضعفاء وفيه البهراتى وعنه يقول النسائى : كذاب ليس بثقة ولا مأمون .

ابن الحسن إذا خبر أن قوما يذكرون أصحاب أبي حنيفة بسوء تمثل بهذا البيت :

محسدون وشر الناس منزلة من عاش في الناس يوماً غير محسود

وفي مناقب الكردري عن ابن جبلة أنه قال سمعت محمداً يقول : لا يحل لأحد أن يروى عن كتبنا إلا ما سمع أو علم مثل علمنا أ هـ . وذلك أن أصحاب أبي حنيفة كانت عادتهم أن يجرى الحجج بينهم في المسألة يومين أو ثلاثة أيام ثم يدونون المسألة من غير ذكر الحجة في الغالب اكفاء بما طال الأخذ والرد بشأه بذكر الحجج قبل التدوين فإذا سمع أحد المتفهمة منهم يدلون بالحجة يسكن إليها قلبه ، وكذا إذا علم مثل علمهم وإلا يكون أمره تقليداً أعمى .

وروى ابن أبي العوام عن الطحاوي عن إبراهيم بن أبي داود أنه قال سمعت يحيى بن صالح الوحاظي يقول حججت مع محمد بن الحسن فلما كنا بمنى رأيت خالد بن عبد الله (وهو أبو الهيثم الواسطي) فصرت إلى مجلسه فازدحم عليه أصحاب الحديث حتى آذوه . فقال : عسى لو سئل هؤلاء عن مسألة من الفقه ما عرفوا الجواب فيها . فقلت : أصلحك الله سلهم فعسى أن يكون فيهم من ليس كذلك . فسأل عن مسألة فأجبتة أنا فيها فاستحسن جوابي وقال لي ممن تعلمت هذا ؟ فقلت من محمد بن الحسن وهو حاج معك . قال فقال لي : إذا فرغنا فامض بي إلى مضربه حتى أسلم عليه فلما مضيت معه إلى محمد بن الحسن فلما رآه قام إليه وأعظمه أ هـ .

وروى أيضاً عن الطحاوي عن ابن أبي عمران أنه سمع الطبري يقول قال لي حميد أبو العباس كانت الحلقة في المسجد يوم الجمعة ببغداد لبشر بن الوليد فلم يزل كذلك ونحن نجالسه فيها حتى قدم محمد بن الحسن علينا (من الرقة) فأتيناه فكنّا نتعلم منه مسائله هذه ثم فأتى

بشر بن الوليد فنسأله عنها فتؤذيه بذلك فلما كثر ذلك عليه ترك لنا
 الخلقة وقام عنها . قال الطحاوي فسمعت ابن أبي عمير أن يقول سمعت
 أبا عبد الله محمد بن الحسن بن أبي مالك يقول رأيت بشر بن الوليد
 يوماً عند أبي وقد ذكر محمد بن الحسن فقال له فقال له أبي : لا تفعل
 يا أبا الوليد ثم قال له . هذا محمد قد صار له في يد الناس ما صار
 من هذه الكتب التي فيها مسائله التي ولدها وعملها فنحن نرضى منك
 أن تقول لنا وضع سؤال مسألة وقد أعفأك الله عز وجل عن
 جوابها . فقال الطحاوي فسمعت ابن أبي عمير أن يحدث عنه أنه عن
 ابن الثلجي قال كانوا إذا قرءوا على الحسن بن أبي مالك مسائل محمد
 بن الحسن هذه قال لم يكن أبو يوسف يدقق هذا التدقيق الشديد أهـ .

وبشر بن الوليد هذا هو رواية أبي يوسف ومنه سمع أبو يعلى
 الموصلي كتب أبي يوسف حتى إن الذهبي يذكر في طبقات الحفاظ
 ما معناه : لو لا طول أمد سماع أبي يعلى هذا لكتب أبي يوسف من
 بشر بن الوليد لملا سنده وأدرك فلا فافلا أهـ . وهذا يدل على
 أن كتب أبي يوسف من الكثرة بحيث أن اتمام سماعها يحول دون علو
 السند مع سرعة المحدثين في العوض والسماع حتى إن منهم من يسمع
 جامع البخاري في ثلاثة أيام وهذا يؤيد ما يقال أن كتاب الأملاني
 لأبي يوسف وحده في ثلاثمائة جزء وإلا لما أخره سماع كتبه عن علو
 السند والله أعلم ، والحسن بن أبي مالك من ألبه أصحاب أبي يوسف
 وأفقههم رحمهم الله .

وروى ابن أبي العمير عن الطحاوي أيضا عن سليمان بن شعيب
 الكيساني عن أبيه قال : أملئ علينا محمد بن الحسن وقال : إذا اختلف
 الناس في مسألة فحرم فقيه وأهل آخر وكلاهما يسه أن يجتهد رأيه
 فالصواب عند الله عز وجل واحد ، حلال أو حرام ولا يكون عنده حلال
 وحرام وهو شيء واحد ولكن الصواب عنده عز وجل واحد وقد كلف

من وسعه اجتهدا لرأى ان يجتهد رأيه حتى يصيب الحق الذي عنده في رأيه فان أصاب الحق الذي هو عند الله عز وجل في رأيه واجتهاده وسعه ذلك وكان قد أصاب ما كلف به وأدام وان كان قد أصاب ما كلف به من اجتهداه في رأيه ولم يصيب الحق عند الله عز وجل بعينه فقد أدى ما كلف به وكان مأجورا فاما أن يقول قائل قد أحل فقيه وحرم فقيه في فرج واحد وكلاهما صواب عند الله عز وجل فهذا ما لا ينبغي أن يتكلم به ولكن الصواب عند الله عز وجل واحدا وقد أدى القوم ما كلفوه به حين اجتهدوا وقالوا باجتهادهم ووسعهم الذي فعلوا وان كان أحدهما قد أخطأ الذي كان ينبغي أن يقول به إلا أنه قد اجتهد فقد أدى ما كلف به وان كان أخطأ لأن الصواب عند الله عز وجل في الأشياء كلها واحدا وهذا كله قول أبي حنيفة وأبي يوسف وقولنا • أه •

وهذا يدل على أن أبا حنيفة وأصحابه لم يكونوا من المصنوعة وأخطأ من حكى عنهم ما يوهم ذلك •

وروى أيضا عن الطحاوي قال سمعت محمد بن علي (بن معبد) ابن شداد العبدي يقول سمعت أبي يقول قدمت الرقة ومحمد بن الحسن قاض عليها فأتيت بابه فاستأذنت عليه فحجبت عنه فانصرفت وأقيمت بالرقة مدة لا آتيه فبينما أنا في يوم من الأيام في بعض طرقاتها إذ أقبل محمد ابن الحسن علي دابته بهيئة القضاء فلما رأيته أقبل علي واستبطنني وركب بي من يصير بي إلى منزله فلما جلس في منزله أدخلت عليه فقال لي ما الذي خلفك عني مذ قدمت ؟ ، فقد بلغني أنك ههنا • فقلت له : أتيت منزلك فحجبت عنك وإنما أقيمتك كما كنت أقيمت وأنت غير قاض • فسأه ذلك وغمه فقال لي : أي حجابي حجبتك ؟ • فظننت أنه يريد عقوبته فلم أخبره به • فقال لي : إذالم تفعل قاضي أئمتهم كلهم • فقلت له • إذن تظلم من لم يحجبني قال فدعاهم جميعا وقال لهم لا يدلكنم علي أبي محمد في حجه عني • ثم التفت إلي فقال • إذا جئت إلينا فلا يكون

بينى وبينك الا الستر الذى يستر الناس عنى فتنحج حينئذ وسلم
فان كنت انا على حالة يتهياً لك الدخول فيها أذمت لك بنفسى وان كنت
على غير ذلك أمسكت فأنصرفت . فكنت آتية بعد ذلك والناس على
بابه فأخطاهم وأتخطى حجابهم حتى أصل إلى ستره فأتنحج وأسلم
فيقول لى . ادخل يا أبا محمد فأدخل أو يمسك فأنصرف اهـ .

وروى أيضاً عن الطحاوى عن يونس بن عبد الأعلى انه قال
قال : الشافعى . كان محمد بن الحسن إذا قعد للمناظرة فى الفقه أقعد معه
حكماً بينه وبين من يناظره فيقول لهذا زدت ولهذا قصت قال الطحاوى
قال لنا أبو العباس الأبلق كان ذلك الرجل عيسى بن هرون اهـ . وهذا
أعدل طريقة فى المناظرة .

قال الصيمرى أخبرنا عبد الله بن محمد الشاهد قال حدثنا القاضى
مكرم قال حدثنا أحمد بن محمد بن المغلس قال سمعت محمد بن سماعة
يقول كان عيسى بن أبان يصلى معنا وكنت أدعوه أن يأتى محمد بن الحسن
فيقول هؤلاء قوم يخالفون الحديث وكان عيسى حسن الحفظ للحديث
فصلى معنا يوماً الصبح وكان يوم مجلس محمد فلم أفارقه حتى جلس
فى المجلس فلما فرغ محمد أدنيته اليه وقلت له هذا ابن أخيك أبان بن
صدقة الكاتب ومعه ذكاء ومعرفة بالحديث . أنا أدعوه اليك فيأبى ويقول
اتم تخالفون الحديث ، فأقبل عليه وقال : يا بنى ما الذى رأيتنا نخالفه
من الحديث لا تشهد علينا حتى نسمع منا فسأله يومئذ عن خمسة
وعشرين باباً من الحديث فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها ويخبر بما فيه
من المنسوخ ويأتى بالشواهد والدلائل فالتفت إلى بعد ما خرجنا وقال
كان بينى وبين النور ستر فارتفع عنى ما ظننت أن فى ملك هذا مثل
هذا الرجل يظهر للناس ولزم محمد بن الحسن لزوماً شديداً حتى
تفقه اهـ .

وعيسى بن أبان هذا جبل من جبال العلم وهو راوى كتاب الصحيح

على أهل المدينة عن محمد بن الحسن ومؤلف كتاب الحجج الصغير في الرد على ما ادعاه عيسى بن هرون الهاشمي رفيق المأمون في عهد طلبه للحديث من مخالفة أبي حنيفة لأحاديث صحيحة دونها الهاشمي في كتاب حتى طلب المأمون إلى العلماء أن يبدوا ما عندهم بشأن كتاب الهاشمي هذا ولم يعجبه ما كتبه إسماعيل بن حماد ولا ما سطره بشر ولا ما جمعه يحيى بن أكرم وإنما أعجبه غاية الإعجاب كتاب عيسى بن أبان هذا واعتبره قاضيا على كتاب الهاشمي والقضية معروفة في كتاب ابن أبي العوام وكتاب الصيمري . ولعيسى بن أبان هذا أيضا كتاب الحجج الكبير في الرد على قديم الشافعي وهو سبب انصرافه من العراق في رحلته الأخيرة من غير أن يمكث بها إلا أشهراً يسيرة حيث لم يجد متسعاً لنشر قديمه بالعراق بعد كتاب عيسى بن أبان ، ولعيسى بن أبان أيضا كتاب في الرد على المريسي والشافعي في شروط قبول الأخبار وتحتوى كتبه على تنف في الأصول ينقلها من محمد بن الحسن ، وأبو بكر الرازي كثير النقل من كتبه في أصوله . والحاصل أن عيسى بن أبان هذا يعد جبلا من جبال الحجاج في الفقه .

بعض أقوال منقولة عن أحمد بن حنبل بشأن

كتب محمد بن الحسن

قال الخطيب حدثني خلال قال أخبرنا علي بن عمرو أن علي بن محمد النخعي حدثهم قال أخبرنا أبو بكر القراطيسي قال أخبرنا إبراهيم الحربي قال سألت أحمد بن حنبل وقلت هذه المسائل الدقائق من أين لك ؟ قال من كتب محمد بن الحسن اهـ . ونقل الشيخ عبد الحى اللكنوي في مقدمة تعليقه على موطأ الإمام محمد عن أنساب ابن السمعاني عن أحمد بن حنبل أنه قال إذا كان في المسألة قول ثلاثة لم يسمع مخالفهم فقليل له من هم ؟ قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن فأبو حنيفة أبصرهم بالقياس وأبو يوسف أبصر الناس بالآثار ومحمد أبصر الناس بالعربية اهـ .

وفي كتاب محنة أحمد بن حنبل عن موسى بن حزام الترمذي أنه قال كنت أختلف إلى أبي سليمان الجوزجاني في كتب محمد بن الحسن فاستقبلني أحمد بن حنبل عند الجسر فقال لي إلى أين ؟ فقلت : إلى أبي سليمان . فقال لي أحمد : العجب منكم تركتم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وأقبلتم إلى ثلاثة إلى أبي حنيفة . فقلت كيف ذلك يا أبا عبد الله ؟ فقال : يزيد بن هرون بواسط يقول حدثنا حميد عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يقول حدثنا محمد بن الحسن عن يعقوب عن أبي حنيفة . قال موسى بن حزام فوقع قوله في قلبي فاكترت زورقا من ساعته فاحذرت إلى واسط فسمعت من يزيد ابن هرون اه . يعني ما تيسر من الحديث معرضاً عن التفقه . وقال عاصم بن عاصم الثقفي : كنت عند أبي سليمان الجوزجاني فأقاه كتاب أحمد بن حنبل : إنك إن تركت رواية كتب محمد حننا إليك لنسمع منك الحديث ، فكتب إليه على ظهر رقعة : ما مصيرك إلينا يرفعنا ، ولا قعودك عنا يضعنا ، وليت عندي من هذه الكتب أوتاراً حتى أروها حسبة . كما رواه الكردري ، وجرى من أحمد مثل ذلك نحو يحيى بن صالح الوحاظي فتلقي منه ما هو من قبيل هذا الجواب حتى إنه سمع ما هو أقسى من هذا (١) من بعض أصحابه حينما بدر من أحمد ما هو من قبيل النيل من أبي حنيفة .

فيأترى ما هو الداعي له إلى هذا الاضطراب ؟ تراه يشنى على كتب محمد بن الحسن وعلمه مرة وتراه يسعى مرة أخرى في صرف المستمعين إلى كتبه من سماعها بأن يقول هناك علو السند وهو يعلم أن السماع بعلو بدون تفقه قليل الجدوى ، وفي طور آخر يسعى عند القائمين برواية كتبه ليصرفهم أنفسهم عن روايتها بوعد التردد اليهم — إذا عدلوا عن رواية كتبه — لأخذ العلم عنهم . ومتى رأى الناس تلميذاً

(١) ونصه « ان قوله من قول أبي حنيفة أنفع من ملء الأرض مثلك » كما في مناقب أحمد لابن الجوزي .

يملى على الأستاذ ما يشاء فى تخيير العلوم ؟ يقول تلميذ لعالم إني آتيك
لأخذ العلم منك إذا تركت تعليم العلم الفلانى وهذا طريف جداً .
ثم تبلدر منه بادرة فتقابل بقسوة بالغة كل ذلك مما يصعب تعليقه .

والحق أن أحمد بن حنبل تفقه فى مبدأ أمره عند أبى يوسف ثلاث
سنين وسمع منه الحديث وكتب عنه ثلاثة قماطر من العلم كما ذكره
الحافظ بن سيد الناس فى شرح السيرة وغيره ، واستفاد من كتب
محمد أيضاً كما هنا . ثم زهد فى رأى مطلقاً أعنى الفقه المستنبط .
وكلامه فى رأى مالك والثورى والشافعى وأبى عبيد وأبى ثور وفتياهم
معروف فى مناقب أحمد لابن الجوزى وغيره . وقد أشرفنا الى بعضها
فيما علقناه على الانتقاء لابن عبد البريل انه لما سمع ان أبا يعقوب
اسحق بن منصور الكوسج يروى عن أحمد نفسه مسائل فى الفقه
والرأى بخراسان استاء من ذلك جداً وأشهد على نفسه انه رجع عن
تلك المسائل كما ذكر غير واحد من أهل العلم مع أن كتاب اسحاق بن
منصور فى مسائل أحمد وابن راهويه حقيق بأن يعد أوثق الكتب فى
مسائلهما وعليه يعول الترمذى فى ذكر آراء أحمد وابن راهويه فى
الجامع - وكتاب اسحاق بن منصور هذا من محفوظات الظاهرية
بدمشق - ولم يكن التراجع من أحمد لبطلان تلك الفتاوى بل من تورعه
من أن يكون قدوة فى الفتيا حذراً من تبعة الخطأ فيها بل قطع التحديث
قبل وفاته بنحو ثلاث عشرة سنة كما ذكره أبو طالب المكي وغيره فلو كان
يتحمل تبعة رواية ما عنده من الأحاديث لما ساغ له قطع التحديث وكنتم
العلم ، وليس بقليل بين أهل الرواية من غسل كنبه التى أفنى عمره فى
سبيل جمعها وروايتها ، خوفاً من تبعة الرواية .

وأنت تعلم أن جمع القرآن فى عهد أبى بكر رضى الله عنه كان مقروءاً
بكثير من التروى حتى طال الأخذ والرد فى ذلك بين الشيخين إلى أن
اقتنع أبو بكر رضى الله عنه بضرورة الجمع مع ظهور الحاجة اليه ،

وكذلك لما أراد عثمان رضى الله عنه تكثير نسخ القرآن وإرسالها إلى أمصار المسلمين . وكان كثير من الرواة في الصدر الأول لا يرون بادية هذه كتابة الحديث ولا تدوينه وكذلك التفسير والفقه إلى غير ذلك من العلوم وهذا التحرج كلما كان أقدم عهداً كان أقرب إلى العذر لكن يستغرب حدوثه في المائة الثالثة بعد أن مضت الأمة على تدوين العلوم كلها وأقر الجمهور بالحاجة إلى ذلك .

ومن تصور ماذا كان يحدث ؟ لو لم يجمع القرآن بين الدفتين ولم ترسل نسخة المنسوخة تحت إشراف الصحابة إلى أمصار المسلمين ووضعها تحت عناية قراء معروفين ولم يدون الحديث وعلومه ولم تؤسس قواعد الأصول ولم تؤلف كتب الفقه وسائر العلوم من شرعية وأدبية وغيرها ، ولاحظ ذلك حق الملاحظة لا يتردد لحظة في سداد ما مضت عليه الأمة . والامام أحمد بن حنبل أسوة غيره من العلماء له أن يرى ما يشاء في الرأي والرواية والفقه والحديث تحت مسؤوليته وله أن لا يرضى أن يكون قلة في هذا أو ذاك لكن ليس للناس أن يتخذوه قدوة فيما لا يرضى أن يكون هو قدوة فيه على خلاف رغبته وقد قام سائر الأئمة قبله وبعده بما رأوه واجبا عليهم ونحن على آثارهم مهتدون .

وصفوة القول أن الامام أحمد بن حنبل كان في مبدأ أمره يكتب الحديث والفقه ويحسن القول في أبي حنيفة وأصحابه ثم اضطربت أقواله في أيام المحنة وكان آخر أمره إحسان القول في أبي حنيفة كما ذكره أبو الورد من أئمة الحنابلة في كتابه في أصول الدين على ما نقله العلامة سليمان بن عبد القوى الطوفي الحنبلي في شرح مختصر الروضة في أصولهم وهو من محفوظات الظاهرية بدمشق وهو من جملة ما مسخه ابن بدران قرض الله من يصلح من شأنه .

وأما ما يعزى إلى بعض أصحاب أحمد من الكلام في أبي حنيفة وأصحابه فليس مما يضع من شأن هؤلاء الأئمة الفقهاء فدوّنك كتاب

السنة لعبد الله بن أحمد وطبقات أبي الحسين بن أبي يعلى وجامع
حرب بن إسماعيل ونقض عثمان بن سعيد فتستبين منها معتقد الطاعنين
قيمة طعونهم هل هي مما يلحق هؤلاء الأئمة الفقهاء فيضع من عظيم
مقدارهم أم هي مما يسفه أحلام المتقولين فيرددهم .

قول محمد بن الحسن في المسائل التي كان النزاع قائما فيها

في عهده مما يتعلق بالاعتقاد

قال الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي في شرح
السنة : حدثنا إسماعيل بن الحسين البخاري المعروف بالزاهد بالري
قال سمعت أبا محمد سهل بن عثمان بن سعيد قال حدثنا أحمد بن
خالد قال سمعت أبا عبد الله بن أبي حفص قال سمعت أبا عصمة سعد بن
معاذ الدورقي يقول سمعت أبا سليمان الجعفر جاني يقول سمعت محمد بن
الحسن يقول : من قال القرآن مخلوق فلا تصلوا خلفه بأحد . يعني
ما هو قائم بالله ، وأما خط الكتاب وصوت الثاني ، والصور الذهبية
في ذهن الحافظ فحدوثها محسوس مشاهد فمن حاول أفكار ذلك وأكفر
فيما هو غير قائم بالله فهو مكابر للحسن معاند للبدئية مهما كان مقامه بين
الرواة فيرتقى لدين من دون في كتابه سياق ما روي في تكفير من وقف
في القرآن ، يريد من وقف عن النطق بأنه غير مخلوق بالنظر إلى عدم
ورود ذلك في الكتاب والسنة الصحيحة ، وسياق ما روي في تكفير
من قال لفظي بالقرآن مخلوق بناء على حدوث الالفاظ ولفظه . وبلغ غلو
بعض الرواة في ذلك مبلغا يخاف منه وفصح بكل أسف أن ابن أبي حاتم
وبنومنده الحافظ في عداد هؤلاء العلاة .

وقال اللالكائي أيضاً أخبرنا محمد بن سليمان ثنا أبو علي الحسن
ابن يوسف بن يعقوب ثنا أبو محمد أحمد بن علي بن زيد العجدواني
ثنا أبو عبد الله محمد بن أبي عمرو الطواويسي ثنا عمرو بن وهب قال

سمعت شداد بن حكيم يذكر عن محمد بن الحسن هي الأحاديث التي جاءت - إن الله ينزل إلى السماء الدنيا ونحو هذا من الأحاديث - أن هذه الأحاديث قد روتها الثقات فنحن نرويها وثؤمن بها ولا نفسرها اهـ . وقا أيضاً أخبرنا أحمد بن محمد بن حفص حدثنا محمد بن أحمد بن سلسلة حدثنا أبو محمد سهل بن عثمان بن سعيد بن حكيم السلمي سمعت أبا إسحق إبراهيم بن أحمد يقول سمعت أبا سليمان داود ابن طلحة يقول سمعت عبيد الله بن أبي حنيفة الدبوسي يقول سمعت محمد ابن الحسن يقول : اتفق الفقهاء كلهم من الشرق إلى الغرب على أن الايمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصفه بصفة لا شيء اهـ .

وهذا يرد على المتقولين بأنه كان يدعو إلى القول بخلق القرآن أو إلى رأى جهم وكان لا يرى الخوض في الصفات كما هو مذهب السلف الصالح وهو المختار بالنظر إلى ذلك العهد ثم جد من النحل ما يقضى بضرورة التأويل دفعا للشبه وقمعا للقائلين بالصوت والحركة ونحوهما في جانب الله تعالى الله عن ذلك . وقال الصيمري أخبرنا عبد الله بن محمد نا مكرم نا محمد بن مسرور ثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد قال حدثنا شعيب بن أيوب عن الحسن بن زياد قال سمعت محمد بن الحسن يقول : مذهبي ومذهب أبي حنيفة وأبي يوسف ، أبو بكر ثم عمر ثم علي ثم عثمان (رضي الله عنهم) اهـ . وقوله في الايمان كقول أبي حنيفة فيه أنه العقيد والكلمة وتفصيل ما كان عليه من المعتقد في الأبواب كما هو مبين في عقيدة الطحاوي ، ومن ضاق صدره من ذلك وأخذ يرميه بالتجهم أو الارزاء فهو بعيد عن السنة بعد الأرض عن السماء .

بعض كلمات أهل العلم في الثناء على محمد بن الحسن

ذكر ابن أبي العوام الحافظ بسنده أن مالك بن أنس قال يوماً وعنده أصحاب الحديث : ما يأتينا من ناحية المشرق أحد فيه معنى - وكان في الجماعة محمد بن الحسن فوقع عينه عليه فقال - إلا هذا الفتى اهـ . وأنت تعلم أنه آتاه ابن المبارك ووكيع وعبد الرحمن بن مهدي وهو فضله بهذا اللفظ عليهم ، وذكر أيضاً بسنده أن الشافعي قال : ما رأيت أعلم بكتاب الله عز وجل من محمد بن الحسن كأنه عليه نزل ، وقال أيضاً : ما سمعت أحداً قط كان إذا تكلم رأيت أن القرآن نزل بلغنه غير محمد بن الحسن ، ولقد كتبت عنه حمل جمل بختي ذكر . قال وإنما ذكرت البختي الذكر لأنه يحمل أكثر مما يحمل غيره الأبل ، وذكر أيضاً أن المزني قال له رجل قال محمد . فقال له : من محمد؟ قال ابن الحسن فقال مرحباً بمن يملأ الأذن سمعاً والقلب فهماً ثم قال ما أفا قلته ، الشافعي قاله . وذكر الصيمري بسنده أن الشافعي قال : ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام والعلل والناسخ والمنسوخ من محمد بن الحسن ، وقال أيضاً إني لأعرف الأستاذية على لمالك ثم لمحمد بن الحسن ، وقال أيضاً لو أنصف الناس الفقهاء لعلموا أنهم لم يروا مثل محمد بن الحسن ما جالست فقيها قط فقه منه ولا فتنق لساني بالفقه مثله لقد كان يحسن من الفقه وأسبابه شيئاً يعجز عنه الأكابر ، وقال أيضاً : لقد كتبت عن محمد بن الحسن وقر بعير ولولاه ما فتنق لي من العلم ما افتنق والناس كلهم عيال على أهل العراق وأهل العراق كلهم عيال على أهل الكوفة وأهل الكوفة كلهم عيال على أبي حنيفة ، وقال المزني من أصحاب محمد ابن الحسن : كانوا والله يملئون الأذان إذا تكلموا ويفتحون للفقهاء ما ينخلق عليهم إذا عقلوا ، فنظر إليه أصحابه فقال والله ما أفا قلته من قبل نفسي حتى سمعت الشافعي يقول ما هو أكثر منه ، وقال الشافعي أيضاً : ما رأيت أفصح من محمد بن الحسن ، وقال أيضاً ما سألت أحداً عن مسألة إلا تبين لي تغير وجهه إلا محمد بن الحسن .

وذكر الخطيب بسنده قال الشافعي : لو أشاء أن أقول أن القرآن نزل بلغة محمد بن الحسن لقلته لفصاحته وقال أيضاً : ما رأيت سمينا أخف روحا من محمد بن الحسن وما رأيت أفصح منه ، وقال أيضاً ما رأيت أعقل منه ، وقال أيضاً حملت من محمد بن الحسن وقر بختي كتباً ، وقال أيضاً كان محمد بن الحسن الشيباني إذا أخذ في المسألة كأنه قرآن ينزل عليه لا يقدم حرفا ولا يؤخر ، وقال أيضاً لرجل قال له خالفك الفقهاء : وهل رأيت فقيها قط ؟ إلا أن تكون رأيت محمد بن الحسن فإنه كان يملأ العين والقلب وما رأيت مبذنا قط أذكى من محمد ابن الحسن : وقال أيضاً : أمن الناس على في الفقه محمد بن الحسن .

وذكر كثيراً منها النووي في التهذيب والذهبي في جزئه ومن جملة ما ذكره الذهبي في جزئه ما رواه ابن كاس النخعي عن أحمد بن حماد بن سفيان عن الربيع عن الشافعي أنه قال : ما رأيت أعقل ولا أفقه ولا أزهد ولا أروع ولا أحسن نطقاً وإيراداً من محمد بن الحسن .

وقال الذهبي لم يروه غير أحمد بن حماد أقول أحمد بن حماد لم يتكلموا فيه وله شواهد ، وفي مناقب الكردي عن الشافعي أنه قال : أعانني الله برجلين بابين عينية في الحديث ومحمد بن الحسن في الفقه ، وفيه عنه أيضاً : لقيته أول ما لقيته وهو قاعد في الحجرة وقد اجتمع عليه الناس فنظرت إلى وجهه وكان من أحسن الناس وجهاً فإذا جبينه كأنه عاج ثم نظرت إلى لباسه وكان من أحسن الناس لباساً وسألته عن مسألة فيها خلاف وإني أطمع أن يلحقه ضعف أن أن يلحن في كلامه فمر كالسهم فقوى مذهبه ولم يلحن في كلامه ، وفيه أيضاً عنه : كنت أختلف إلى محمد بن الحسن وأجالسه حتى سمعت كتبه ، وفيه أيضاً عنه : ليس لأحد على منة في العلم وأسباب الدنيا ما لمحمد بن الحسن على . وكان يترحم عليه في عامة الأوقات . وفيه عنه أيضاً : ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام والناسخ والمنسوخ من محمد . وفيه عنه أيضاً :

ما رأيت أحداً أعلم بالفتيا من محمد بن الحسن كآفته كان يوفق لها .
وفيه عنه أيضاً : ما رأيت مثل محمد ينطق بالحكمة ويسمع ما لا يجب
فيحتمل .

وذكر البدر العيني في (مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار)
عن ابن الأثير وابن كثير وغيرهما من أقوال الشافعي في محمد بن الحسن
ما لا يخرج مما تقدم ، وكذا التقى التميمي في طبقاته .

وأخرج ابن أبي العوام بسنده عن داود الطائفي أنه قال في حق
محمد بن الحسن - وهو حدث - : إن عاش فسيكون له شأن وعن
أبي يوسف في حفظ محمد بن الحسن - وهو شاب : هكذا يكون
الحفظ . وعنه أيضاً في حق محمد بن الحسن - وهو صغير - : أي
سيف هو غير أن فيه صيداً وهو يحتاج إلى جلاء ، وعنه أيضاً في حق
محمد : هو أعلم الناس ، وفي لفظ من أعلم الناس . وعن يحيى بن معين :
كتبت الجامع الصغير عن محمد بن الحسن أ ه - وهو في تاريخ
ابن معين رواية الدوري عنه وهو من محفوظات الظاهرية بدمشق -
وأخرج ابن أبي العوام أيضاً عن الحسن بن أبي مالك أنه قال حينما قرءوا
عليه مسائل محمد بن الحسن هذه : لم يكن أبو يوسف يدقق هذا
التدقيق الشديد أ ه وأسافيد ذلك كله في كتاب ابن أبي العوام الحافظ .

وأخرج الصيمري بسنده عن أبي عبيد أنه قال : ما رأيت أحداً
أعلم بكتاب الله من محمد بن الحسن أ ه . وفي مناقب الكردي عن
محمد بن سلام أنه قال : أنفقت على كتب محمد عشرة آلاف درهم
ولو استقبلت من أمرى ما استديرت ما اشتغلت إلا بكتب الرجل
الصالح محمد بن الحسن . وسئل عيسى بن أبان ، أبو يوسف أفقه
أم محمد ؟ فقال اعتبروا بكتبهما . يعني أن محمداً أفقه . وعن محمد

ابن سلمة : أنه جزء الليل ثلاثة أجزاء جزء للنوم ، وجزء للصلاة ، وجزء للدرس . وكان كثير السهر فقليل له : لم لا تنام ؟ قال كيف أفام وقد فامت عيون المسلمين تعويلا علينا وهم يقولون إذا وقع لنا أمر رفعناه إليه فيكشفه لنا فاذا فمنا ففيه تضييع للدين أه .

وفى تاريخ الخطيب (ج ٢ ص ١٧٤) بسنده إلى إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أنه قال : كان محمد بن الحسن له مجلس في مسجد الكوفة وهو ابن عشرين سنة أه . وذكر الذهبي في جزئه : ويحكي عن محمد بن الحسن ذكاء مفرط وعقل تام وسؤدد وكثرة تلاوة ، قال الطحاوي : سمعت أحمد بن أبي عمران يحكي عن بعض أصحاب محمد ابن الحسن أن محمداً كان حزبه في كل يوم وليلة ثلث القرآن ، قال أبو خازم سمعت بكر بن محمد العمى يقول : إنما أخذ ابن سماعة وعيسى بن أبان حسن الصلاة من محمد بن الحسن انتهى ما ذكره الذهبي .

وروى ابن أبي العوام عن الطحاوي عن ابن أبي عمران عن محمد ابن شجاع أنه كان يقول على انحرافه من محمد بن الحسن (ميلا منه إلى شيخه الحسن بن زياد) : ما وضع في الاسلام كتاب في الفقه مثل جامع محمد بن الحسن الكبير . وروى أيضاً عن الطحاوي عن محمد بن الحسن بن مرداس عن محمد بن شجاع أنه قال : مثل محمد ابن الحسن في الجامع الكبير كرجل بنى داراً فكان كلما علاها بنى مرقاة برقى منها إلى ما علاه من الدار حتى استتم بناءها كذلك ثم نزل عنها وهدم مراقبها ثم قال للناس : شأنكم فاصعدوا أه .

والحق أن هذا الكتاب آية في الابداع ينطوي على دقة بالغة في التفريع على قواعد اللغة وأصول الحساب خلا ما يحتوى عليه من المضي على دقائق أصول الشرع الأغر فلعله ألفه ليكون محكاً لتعرف نباهة

الفقهاء وتيقظهم في وجوه التفريع ، يحار العقل في فهم وجوه تفريعه في ذلك إلى أن تشرح له وهو كما قال ابن شجاع أولاً وآخرأ إلا أن مراقى الكتاب أعيدت إلى أبواب الكتاب كما يظهر من شرحى الجمال الحصري على الجامع الكبير حيث يقول في صدر كل باب من أبواب الكتاب : أصل الباب كذا ، وبني الباب على كذا . فبذلك سهلت معرفة وجوه التفريع جداً .

قال محمد بن سعد : نشأ بالكوفة وطلب العلم وطلب الحديث وسمع سماعاً كثيراً وجالس أبا حنيفة وسمع منه ونظر في رأى فغلب عليه وعرف به وفقد فيه وقدم بغداد فنزلها واختلف إليه الناس وسمعوا منه الحديث والرأى أ هـ .

وذكر الخطيب بسنده عن على بن المدينى أنه سئل عن محمد بن الحسن فقال صدوق ومثله في المنتظم لابن الجوزى وتعجيل المنفعة لابن حجر وقال الذهبى في جزئه احتج الشافعى به في الحديث وقال الذهبى أيضاً في ميزان الاعتدال : لينه النسائى وغيره من قبل حفظه وكان من يحور العلم والفقه قويا في مال ك أ هـ . فياليت شعرى كيف يكون قويا فيما سمعه عرضا ، لينا في ما أفنى فيه عمره وحقاً أن أهل الجرح قعدوا على شفا حفرة من النار كما يقول ابن دقيق العيد ، وقال البدر العينى في رجال معانى الآثار : قال سبط بن الجوزى في مرآة الزمان قال علماء السير : كان محمد بن الحسن اماماً حجة في جميع العلوم قلت والذي ينقله جده في كتاب الضعفاء في حقه عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين تحامل فحاشى هذين الامامين أن يتكلموا بسوء في مثل الامام محمد مع علمهما واعترافهما بعلمه الغزير ودياقته وأماقته وثقته وورعه وزهده ومناقبه كثيرة جداً انتهى ما ذكره البدر العينى .

وقال ابن أبى حاتم عن أبيه أن في كتاب السير لمحمد بن الحسن صاحب الرأى عن الواقدى أحاديث فلم يضبطوا عن محمد بن الحسن

وروا عن محمد بن الحسن عن الواقدي أحاديث وروى الباقي عن محمد ابن الحسن عن مشايخ الواقدي مثل خارجة بن عبد الله بن سليمان بن ثابت ، وعن محمد بن هلال ، وعن الضحاك بن عثمان وهذا كله عن الواقدي عن محمد بن الحسن عن هؤلاء المشايخ أ ه .

فان كان يريد بالكلام المذكور الطعن في تلك الأحاديث باعتبار أنها مروية بطريق الواقدي فالواقدي وثقه غير واحد من الأقدمين وإن طعن فيه أفس لأسباب لكنها غير مقبولة عند هؤلاء وان كان يريد أنه يروى مرة عن الواقدي عن المشايخ ثم يروى أحاديث آخر عن هؤلاء المشايخ مباشرة من غير توسط الواقدي فيما المانع من أن يكون محمد سمع أحاديث من الواقدي عن مشايخه وسمع أحاديث آخر عن هؤلاء المشايخ مباشرة ومحمد قديم الحج وقد أدرك من هو في طبقة هؤلاء من مشايخ المدينة كأسامة الليثي وعبيد الله العمري وابن أبي ذئب . وقد قال البدر العيني رواية عن أبي حفص : أن الواقدي كان يأتي إلى محمد ابن الحسن فيقرأ عليه محمد كتاب المغازي ويقرأ عليه الواقدي كتاب الجامع الصغير ، ومثله في مناقب الكردي . وهذا من رواية الأقران بعضهم من بعض وكيف يستغنى محمد عن مثل الواقدي في المغازي ولم يستغن أبو يوسف عن محمد بن إسحاق في ذلك ولا يتحاكم في مثل هذا الامام الجليل إلى مثل العقيلي وابن عدي من أذيال الحشوية . وكان محمد بن الحسن بعيداً عن مدار حشوية الرواة صريحاً في استسخاف أحلامهم كشيخه أبي حنيفة فطالت ألسنتهم فيهما بخلاف أبي يوسف فانه كان يداريهم حتى قالوا أبو يوسف كان منصفاً في الحديث وأما أبو حنيفة ومحمد فكانا مخالفين للآثر . وليس بين أئمتنا من يناهض السنة الصحيحة ولكن من يرى جلوس الرب على العرش وحركته وقدم الحرف والصوت والانحياز إلى الخوارج في مسألة الايمان أو إلى القدرية يتقول ما يشاء من غير أن يلتفت إلى هرائه أحد سوى أشكالهم في الغواية هداهم الله .

كتب محمد بن الحسن ومصنفاته

لم يصل إلينا من أى عالم فى طبقته ، كتب فى الفقه قدر ما وصل إلينا من محمد بن الحسن بل كتبه هى العماد للكتب المدونة فى فقه المذاهب فكم رأينا بين المحامين الباحثين فضلا عن قضاة الشرع الفقهاء من يرغب رغبة صادقة فى نشر كتب محمد بن الحسن اعترافاً منهم بأن كتبه هى أسس الكتب المدونة فى فقه المذاهب .

وقد قام جماعة من فطاحل العلماء بالهند تحت رئاسة العلامة المحدث الفقيه أبى الوفاء حفظهم الله بالبحث عن كتب الأقدمين من الفقهاء فى خزائن العالم لنشرها تترى ومساعدتهم هذا مشكور جداً لقيامهم بواجب عظيم كان أهل الشأن أهملوه قروفاً سدد الله سبحانه خطواتهم ووقفهم لاقتاج هذا العمل النافع انه سميع مجيب .

ولا يخفى مبلغ استمداد الكتب المدونة فى المذاهب من كتب محمد بن الحسن فالأسدية التى هى أصل المدونة فى مذهب مالك إنما ألقت تحت ضوء كتب محمد كما سبق والشافعى إنما ألف قديمه وجديده بعد أن تفقه على محمد وكتب كتبه وحفظ منها ما حفظ ، وابن حنبل كان يجاوب فى المسائل من كتب محمد وهكذا من بعدهم من الفقهاء .

فأكبر ما وصل إلينا من كتب محمد هو كتاب الأصل المعروف بالمبسوط وهو الذى يقال عنه أن الشافعى كان حفظه وألف الأم على محاكاة الأصل وأسلم حكيم من أهل الكتاب بسبب مطالعة المبسوط هذا قائلاً هذا كتاب محمدكم الأصغر فكيف كتاب محمدكم الأكبر . وهو فى ستة مجلدات وكل مجلد منها نحو خمسمائة ورقة يرويه جماعة من أصحابه مثل أبى سليمان الجوزجاني ومحمد بن سماعة التميمي وأبو حفص الكبير البخارى وقد قدر الله سبحانه ذيوها عظيماً لهذا الكتاب يحتوى على فروع تبلغ عشرات الألوف من المسائل فى الحلال

والحرام لا يسع الناس جهلها وهو الكتاب الذي كان أبو الحسن بن داود يفاخر به أهل البصرة وطريقته في الكتاب سرد الفروع على مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف مع بيان رأيه في المسائل ولا يسرد الأدلة حيث تكون الأحاديث الدالة على المسائل بمتناول جمهور الفقهاء من أهل طبقته وإنما يسردها في مسائل ربما تغرب أدلتها عن علمهم فلو جردت الآثار من هذا الكتاب الضخم تكون في مجلد لطيف وتوجد عدة نسخ كاملة منه في خزانات اصطنبول منها ما هو في ستة مجلدات وهي نسخة مكتبة فيض الله ومنها ما هو في أربعة مجلدات وهي نسخ مكتبات جار الله ولي الدين وقره مصطفى باشا ومراد ملا وأقدمها نسخة مراد ملا وكلها من رواية الجوزجاني وعدد المجلدات مما يختلف باختلاف الخط ، ويوجد في مكتبة الأزهر مجلد من أوله وفي دار الكتب المصرية عدة مجلدات باسم الأصل وباسم كتاب في الفروع من غير أن تتم بها نسخة واحدة .

ومما وصل إلينا من كتبه ، الجامع الصغير وهو كتاب مبارك مشتمل على نحو ألف وخمسمائة واثنين وثلاثين مسألة قد ذكر فيه الاختلاف في مائة وسبعين مسألة ولم يذكر القياس والاستحسان إلا من مسألتين وقدر الله سبحانه الذبوع البالغ له أيضا حتى شرحه أئمة أجلاء استقصى الشيخ عبد الحي اللكنوي في (النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير) ذكر شراحه . ومن جملة رواته في اثبات الشيوخ ، الجوزجاني وأبو حفص وعلى بن معبد ، وبوبه أبو طاهر الدباس والزعفراني وليس فيه غير سرد المسائل . وكان سبب تأليفه أن أبا يوسف طلب من محمد بعد فراغه من تأليف المبسوط أن يؤلف كتابا يجمع فيه ما حفظ عنه مما رواه له عن أبي حنيفة فجمع هذا الكتاب ثم عرضه عليه فقال نعمنا حفظ عني أبو عبد الله إلا أنه أخطأ في ثلاث مسائل فقال محمد أنا ما أخطأت ولكنه نسي الرواية . ويقال إن أبا يوسف مع جلالة قدره

كان لا يفارق هذا الكتاب في حضر ولا سفر . وطبع الجامع الصغير
هذا في الهند بتعليق الشيخ عبد الحى اللكنوى وفي اسطنبول ومصر .

ومن كتب محمد أيضاً كتاب السير الصغير يرويه عن أبى حنيفة
وحاول الأوزاعى الرد على سير أبى حنيفة فجاوبه ابو يوسف ومنها
الجامع الكبير وهو كتاب جامع لجلائل المسائل مشتمل على عيون
الرؤايات ومتون الدرايات بحيث كاد أن يكون معجزاً كما يقول الأكمل
في شرحه على تلخيص الخلاطى للجامع الكبير ، وسبق أن نقلته قول
ابن شجاع فيه : انه لم يؤلف في الاسلام مثله في الفقه . وقال الامام
المجتهد أبو بكر الرازى في شرحه على الجامع الكبير : كنت أقرأ بعض
مسائل من الجامع الكبير على بعض البرزين في النحو (يعنى أبا على
الفارسي) فكان يتعجب من تغلغل واضع هذا الكتاب في النحو .
وروى ابن أبي العوام بسنده عن الأخفش ثناء بالغاً في حق هذا الكتاب
من جهة موافقته للعربية تمام الموافقة وكتب العلامة الشريف النقيب
جمال الدين بن عبيد الله من الموصل بتاريخ المحرم سنة خمس عشرة
وستمائة إلى القاضي شرف الدين بن عثين يقول فيه : كنت منذ زمن طويل
تأملت كتاب الجامع الكبير لمحمد بن الحسن رحمه الله وارتقم على
خاطري منه شيء والكتاب في فيه عجيب غريب لم يصنف مثله إلى أن
سأل فيه عن مسائل استشكلها وأجاب عنها الملك العظيم عيسى وأوردها
فيما رد به على الخطيب وذكر تفصيلاً من الكتاب المذكور مما يدل
على تغلغل محمد وشيخه في أسرار العربية . وهذا الكتاب يعد ألقية
الفقهاء ، يختبر به تفاوت مداركهم ومبلغ يقظتهم في الفقه . وقد أقر
جماهير أهل العلم باستبحار واضعه في العربية وبأقنه حجة في اللغة
كما أنه حجة في الفقه وقد أقر بذلك ابن تيمية في مواضع على انجراجه
من أهل الرأي مع أنك ترى الشافعية أنفسهم يختلفون في كون
الشافعي حجة في اللغة كما يستفاد من بحث مفهوم الصفة في البرهان
لابن الجويني .

وقد شرح هذا الكتاب عشرات من الأئمة ولم تزل تلك الشروح الخالدة محفوظة في خزائن العالم ، وتوجد نسخ عديدة من الجامع الكبير في مكتبات اسطنبول وأقدمها نسخة مكتبة الفاتح بها وتوجد أيضاً نسخة في مكتبة ولي الدين شيخ الاسلام وفي مكتبة (يني جامع) بها أيضاً ، وقد روى الجامع الكبير عن محمد جماعة كثيرة من أصحابه وفي جملة هؤلاء على بن معبد بن شدداد .

ومنها الزيادات وزيادة الزيادات ألفهما بعد الجامع الكبير استمراكا لما فاتته فيه من المسائل وتعدان من أبدع كتبه وقد عني أهل العلم ، بشرحهما عناية كاملة وتوجد نسخ منهما في خزائن اسطنبول وهما من الكتب المروية عنه بطريق الشهرة وغلط من ذكرهما في عداد النوارد ويقال في سبب تأليفه للزيادات أن أبا يوسف فرع فروعا دقيقة في أحد مجالس إملائه ثم قال : يشق تفريع هذه الفروع على محمد بن الحسن . ولما بلغه ذلك ألف الزيادات لتكون حجة على أن أمثال تلك الفروع وما هو أدق منها لا يشق عليه تفريعها والله تعالى أعلم .

ومنها كتاب السير الكبير وهو من أواخر مؤلفاته ألفه محمد بعد أن انصرف أبو حفص الكبير إلى بخارى فاحصرت روايته في البغداديين مثل الجوزجاني وإسماعيل بن توبة القزويني وقد احتفى الرشيد بهذا الكتاب جداً وأسمعه ابنه الأمين والمأمون وعظم قدر هذا الكتاب معروف وقد شرحه جماعة من الأئمة وقد طبع شرح السرخسي عليه في الهند في أربعة مجلدات ولشيخ مشايخنا العلامة محمد المنيب العيتابي تعليق نفيس عليه سماه (التيسير على السير الكبير) وهو موجود بمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة ، وتوجد نسخ خطية من السير الكبير بمكتبات اسطنبول ، وسبق أن ترجم كتاب السير الكبير إلى اللغة التركية بقلم شيخ مشايخنا العيتابي المذكور في عهد السلطان محمود خان العثماني ، تسهيلا لاطلاع المجاهدين من قواد الجيوش في الدولة

على أحكام الجهاد ، ثم طبعت الترجمة المذكورة في اصطنبول ، وتلك الكتب الستة أعنى المبسوط والصغيرين والكبيرين والزيادات يعد ما حوته من الروايات ظاهر الرواية المذهب من حيث أنها مروية بطريق الشهرة أو التواتر ويعتد باقى كتب محمد فى الفقه غير ظاهر الرواية لورود باقى الكتب بطريق الآحاد دون الشهرة والتواتر .

فمنها الرقيات وهى المسائل التى فرعها محمد بن الحسن حينما كان قاضياً بالركة رواها عنه محمد بن سماعة وكان معه طول بقاء محمد بن الحسن بها ، ومنها الكيسانيات وهى التى رواها عنه شعيب بن سليمان الكيساني يرويها الطحاوى عن سليمان بن شعيب عن أبيه عن محمد ويقال لها الأمالى وتوجد قطعة منها فى المكتبة الآصفية فى حيدر آباد الدكن بالهند ودائرة المعارف^(١) هناك على عزم طبع تلك القطعة كما بلغنى من صديقى العلامة المحدث الفقيه أبى الوفاء شيخ الحديث بالمدرسة النظامية فى حيدر آباد الدكن ، ومنها الجرجانيات يرويها على بن صالح الجرجاني عن محمد ، ومنها الهارونيات وله كتاب النوادر رواية ابراهيم بن رستم ، وآخر رواية ابن سماعة ، وآخر رواية هشام بن عبيد الله الرازى وقد أصبحت تلك الكتب نوادير فى الخزانات كما أن مسائلها تعد نوادير فى المذهب .

وله كتاب الكسب يقال إنه مات قبل أن يتمه وكانوا سألوه أن يؤلف كتاباً فى الورع فجأوبهم بأننى ألفت كتاباً فى البيوع يريد ان المرء إذا طاب مكسبه حسن عمله فلما أصرروا على الطلب بدأ فى تأليف هذا الكتاب لكن المنية حالت دون إتمامه وكان شمس الأئمة السرخسى شرح كتاب الكسب هذا كما فى التراجم ، وفى دار الكتب المصرية كتاب محفوظ تحت رقم ١١ فى فن الصناعة فى نحو خمس وأربعين ورقة يبحث

(١) وكم لها من أباد بيضاء على العلم مشكورة مدى الدهر .

عن المكاسب يقال انه تلخيص ابن سماعه لكتاب الكسب لمحمد مكتوب على ظهره (كتاب الاكتساب في الرزق المستطاب) بديع في بابه ولكن في النفس شيء من نسبة الكتاب بهذا الاسم إلى ابن سماعه والله أعلم .

وطبع حديثا كتاب في المخرج والحيل باسم محمد بن الحسن وهو المقيد باسم أبي يوسف بدار الكتب المصرية ، وقد قال ابن أبي العوام سمعت ابن أبي عمران يقول سمعت ابن سماعه يقول سمعت محمد بن الحسن يقول (عن كتاب في المخرج والحيل كان يتداوله بعض الناس) : هذا الكتاب ليس من كتبنا وإنما ألقى فيها . قال ابن أبي عمران : إنما وضعه إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة . وكنت تكلمت على هذا فيما علقته على كتاب زغل العلم للذهبي بص ١٤٠ .

وأما الكتب التي تعلب فيها رواية الحديث من كتبه فبين أيدينا منها كتاب الموطأ ثدوين محمد من روايته عن مالك وفيه ما يزيد على ألف حديث وأثر من مرفوع وموقوف مما رواه عن مالك وفيه نحو مائة وخمسة وسبعين حديثا عن نحو أربعين شيخا سوى مالك ، وهذا الموطأ من مسموعات أبي الوليد الباجي من أبي ذر الهروي كما في أواخر شرح الموطأ له (ج ٧ ص ٣٠٠) وبه اقتصر موطأ محمد بالأندلس وأسانيد الموطأ برواية محمد مبسوطه في أثبات شيوخنا من المشاركة وسبق ذكر أهمية هذا الموطأ عند بيان رحلة محمد إلى مالك رضي الله عنهما ، وشرحه على القاري والبيروني شارح الأشباه وعثمان الكماخي . وطبع موطأ محمد بالهند مرات مع التعليق للمجد لعبد الحى اللكنوى . لكن أدخل حديث كان في هامش نسخة أبي علي الصواف في الصلبي خطأ وهو حديث القراءة خلف الإمام من رواية الشيخ أبي علي عن محمود المروزي إلى آخر السند فاضطرب لذلك اللكنوى في رجال هذا السند ظنا منه أن أبا علي هو شيخ لمحمد بن الحسن ولا دخل لمحمد بن الحسين في هذا الحديث أصلا فان أبا علي هو محمد

ابن أحمد بن حسن الصواف من رجال القرن الرابع راجع ترجمة شيخه المروزي في تاريخ الخطيب (ج ١٣ ص ٩٤) وهناك يسوق هذا الحديث ، وإدخاله في الصلب عمل أحد الناسخين والنسخة المنقولة عن نسخة الاتقاني المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٣٩) على الصواب ، واضطرب الشيخ عبد الحي أيضا في رجال حديث الشعبي في صلاة القاعد (محمد ثنا بشر ثنا أحمد أخبرنا إسرائيل) لكن محمداً في أول السند هو أبو علي الصواف المذكور وبشر شيخه هو بشر ابن موسى الأسدي راوية موثقاً محمد وأحمد هو أحمد بن مهران النسوي صاحب محمد وراوى الموطأ عنه وإسرائيل شيخ محمد بن الحسن الامام وقد سقط محمد من بين أحمد وإسرائيل كما يظهر من نسخة أخرى محفوظة بها تحت رقم (٤٤٠) أدخل الناسخ هنا خاصة عدة من الرواة المتأخرين عن محمد في صلب السند كما هو عادة كثير من الأقدمين وقد ألف في رجال موطأ محمد العلامة قاسم الحافظ .

ومن كتب محمد بن الحسن كتاب الحجة المعروف بالحجج في الاحتجاج على أهل المدينة وقد وصلت إلى أيدينا قطعة كبيرة منه طبعت بالهند قديماً عن النسخة للمحمودية بالمدينة وسبق ذكره في (ص ١٠) ومنها كتاب الآثار يروى فيه عن أبي حنيفة أحاديث مرفوعة وموقوفة ومرسلة ويكثر جداً عن إبراهيم النخعي شيخ الطريقة العراقية ، ويروى فيه قليلاً عن نحو عشرين شيخاً سوى أبي حنيفة وهو كتاب نافع للغاية ولشايخصاً عناية خاصة بروايته في أثباتهم وقد ألف الحافظ ابن حجر (الايثار بمعرفه رواة الآثار) في رجاله باقتراح صاحبه العلامة قاسم الحافظ ثم ألف هو أيضاً كتاباً آخر في رجاله ، وكذلك لمحمد مسند أبي حنيفة المعروف بنسخة محمد . ومن جملة ما يذكره محمد ابن اسحاق النديم من مؤلفاته في فهرسته : كتاب اجتهد الرأي ، وكتاب الاستحسان ، وكتاب الحجج يحتوي على كتب كثيرة وكتاب الخصال ، وكتاب الرد على أهل المدينة ، وكتاب أصول الفقه .

فأولية رسالة الشافعي في الأصول إما تصح بالنسبة إلى مذهبه وهو يفتش الطوائف قبله في الأصول في الأم وهما هو لمحمد كتاب في الأصول ولأبي يوسف أيضا كما ذكره طاحه الحافظ ولأبي حنيفة كتاب الرأي كما سبق كل مالك يروي أصوله عن ربيعة عن ابن المسيب كما في صلة ابن بشكوال .

أسانيد بعض كتب محمد بن الحسن

المذكورة في اثبات المشايخ

وتذكر في غالب الأثبات والمعاجم على اختلاف القرون أسانيد كثير من كتب محمد بن الحسن منها الآثار والمسند والموطأ والأصول الستة له وكان الجمال الحصري انفرد في عصره بروايتها سماعاً بطو عن الحسن ابن منصور الأوزجندی عن الظهير الحسن المرغيناني عن عنه أبي القاسم محمد بن عبد العزيز عن شمس الأئمة السرخسي بأسانيد المعروفة في الكتب الستة وعن الحصري برواها الصدير سليمان الأذري وعنه الشمس السروجي وعنه القطب عبد الكريم الطلي وعنه عبد القادر القرشي وعنه القاضي الزين المرافي وعنه يحيى بن محمد الأقصراني وعنه البرهان الكركي وعنه السراج الحافوتي وعنه ابنه محمد وعنه الخير الرملي وأسانيد مشايخنا إليه مدونة في الأثبات لكن لا بأس في أن تشير هنا إلى أسانيدنا في كتب محمد بن الحسن المذكورة .

أما كتاب الآثار له فأرويه بعصوم الاجارة عن شيخنا العلامة أبي الإخلاص علي^(١) زين العابدين بن الحسن بن موسى الأصبهاني عن شيخه العلامة النحرير أستاذ الأساتذة أحمد شاكر بن خليل الاصبهولي عن شيخه المحقق الحافظ محمد غالب الاصبهولي عن شيخه العلامة

(١) توفي بعد اذان الجمعة ١٨ صفر سنة ١٣٣٦ عن ٧٤ سنة ودفن بمقبرة السلطان محمد الفاتح باصطنبول أغدق الله على جدته سحبه رحمته .

المسند سليمان بن الحسن الكريدي عن المحدث المعمر أبي المحاسن يوسف
ابن اسمعيل عن الفقيه المحدث محمد هبة الله البعلبي التاجي المتوفى
سنة ١٢٢٤ (ح) وأنبأنا به عاليا بعموم الاجازة المحدث الورع الشيخ
الحسن بن عبد الله القسطنطوني عن أحمد حازم النوشهري عن العلامة
محمد أسعد امام زاده عن محمد هبة الله البعلبي عن صالح بن ابراهيم
الجيني عن محمد بن علي المكتبي عن أبي الصبر ايوب بن أحمد
الدمشقي عن ابراهيم بن محمد الاحدب عن الحافظ محمد بن طولون
عن أبي بكر محمد بن أبي بكر بن أبي عمر عن البرهان الحلبي الحافظ
عن أبي عمر محمد بن أحمد بن أبي عمر عن أبي الحسن علي بن البخاري
عن ابن الجوزي عن ابن البطي عن ابن خيرون عن الضيمري عن
أبي اسحق ابراهيم بن أحمد الطبري عن أبي بكر الرازي عن أبي عامر
عمر بن تميم بن سيار عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد بن الحسن
الشييباني • وأرويه أيضاً بقراءة أوائله وإجازة الباقي عن محمد صالح
الأمدي عن الشيخ فالح عن عبد الغني الدهلوي عن محمد عابد السندي
بسنده المذكور في حصر الشارذ بطريق ابن حجر إلى أبي حفص الكبير
البخاري عنه •

وأما مسند محمد بن الحسن فأرويه بعموم الاجازة بالسند إلى
ابن طولون عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي عمر عن أم محمد
عائشة ابنة محمد العمري عن أبي الحجاج يوسف المزني الحافظ عن
ابن البخاري عن ابن الجوزي عن ابن البطي عن الحسن بن محمد
الجوهري عن أبي بكر محمد الأبهري عن أبي عروبة الحراني عن جده
عمرو بن أبي عمرو عن محمد بن الحسن الشييباني • ويرويهما أيضاً
صالح الجيني عن أبيه عن الخير الرملي عن محمد بن السراج عمر
الحانوتي عن مؤلف البسترة الشامية محمد بن يوسف الصالحي الحافظ
بأسانيده المذكورة في عقود الجمات في مناقب أبي حنيفة النعمان له •

وذكر ابن حجر أسانيده في موطأ محمد والآثار له والسير الكبير له
في المعجم المفهرس .

وأما كتاب الموطأ رواية محمد بن الحسن فأرويه بعموم الاجازة
أيضاً بالسند إلى ابن طولون عن أم عبد الرزاق خديجة ابنة عبد الكريم
الأرموية مشافهة عن أم عبد الله عائشة ابنة محمد بن عبد الهادي
عن الحجار عن أبي الحسن محمد القطعي كنيابة عن ابن البطي عن
ابن خيرون وأبي الحسن علي بن الحسين بن أيوب قالاً أنبأنا أبو طاهر
عبد الغفار بن محمد بن جعفر المؤدب أنبأنا أبو علي محمد^(١) بن أحمد
ابن الحسن الصواف أنبأنا أبو علي بشر بن موسى بن صالح الأسدي
أنبأنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن مهران السائي أنبأنا به محمد بن
الحسن الشيباني رحمه الله .

وأما الكتب الستة له أعني الجامع الصغير والجامع الكبير والسير
الصغير والسير الكبير والمبسوط والزيادات فإني أرويه بعموم الاجازة
أيضاً بالسند إلى صالح الجيني عن الحسن العجيمي عن عبد الفتاح
الخاص عن محمد بن عبد القادر الحريري عن السراج عمر الحانوتي
عن محمد بن جرباش عن أبي الخير محمد بن محمد الرومي عن المجد
محمد بن محمد بن علي الحريري عن والده عن قوام الدين الاتقاني
عن الحسين بن علي السغناقي عن حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر
البخاري عن محمد بن عبد الستار الكردي عن البرهان صاحب الهداية
عن أبي حفص عمر النسفي عن أسعد بن عبد الله الغوبديني عن أبيه
عبد الله بن حمزة عن محمد بن أبي سعيد عن جده يعقوب عن أبي سليمان
موسى بن سليمان الجوزجاني عن الامام محمد بن الحسن رحمه الله .

(١) سمع منه أبو ذر الهمري موطأ محمد ومنه سمعه أبو الوليد
الباجي وبه انتشر موطأ محمد بالمغرب .

وأما رواية السير الكبير بطريق اسمعيل بن توبة خاصة فبالسند إلى صاحب الهداية عن تاج الدين أحمد بن عبد العزيز بن عمر عن شمس الاسلام أبي بكر محمد بن علي بن الفضل الزرنجری عن شمس الأئمة الطوائی عن أبي علي النسفی عن أبي إبراهيم اسحق بن محمد ابن حمدان المهلبی عن أبي محمد الحارثی عن أبي محمد السنانی عن اسمعيل بن توبة القزوينی المؤدب عن الامام أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيبانی رضي الله عنه وأدام تسلسل أسانيد علومه ونفعنا ببركاته .

وفاة محمد بن الحسن رضي الله عنه

كان ميلاد محمد بن الحسن سنة اثنتين وثلاثين ومائة كما نص عليه ابن أبي العوام وابن سعد والخطيب وغيرهم وسها من قال سنة خمس كما سبق وأما وفاته فكانت سنة تسع وثمانين ومائة باتصاف بين ابن سعد وابن الخياط والخطيب وغلط من قال سنة ثمان كما وقع في ابن أبي العوام . قال أبو عبد الله الصيمري أخبرنا المرباني ثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي : مات محمد بن الحسين والكسائي بالري سنة تسع وثمانين ومائة فقال الرشيد دفنت الفقه والعريضة بالري . وسبق أنه قيل مات محمد ثم الكسائي بعده بيومين وقيل ماتا في يوم واحد والله أعلم وفي مناقب الكردي أن أبا الحسن علي ابن موسى القمي ذكر أن محمد بن الحسن دفن بجبل (طبرك) محرقة قلعة بالري بقرب دار هشام بن عبيد الله الرازي لأنه كان فازلا عليه ، والكسائي بقرية (ربوية) وبينهما أربعة فراسخ وكان معسكر الرشيد أربعة فراسخ نزل الامام محمد في جانب والامام الكسائي في جانب أه وذلك حينما خرج الرشيد الى مقاتلة رافع بن الليث بن نصر بن سيار بسمرقند ، وذكر الذهبي في جزئه عن يونس بن عبد الأعلى عن علي بن معبد عن الرجل الرازي الذي مات محمد بن الحسن في بيته (وهو هشام بن عبيد الله) قال حضرت محمداً وهو يموت فبكى فقلت له :

أتبكي مع العلم . فقال لى : أرأيت إن أوقفنى الله تعالى فقال يا محمد ما أقدمك الرى الجهاد فى سبيلى أم ابتغاء مرضاتى ؟ . ماذا أقول ؟ ثم مات رحمه الله أ ه . وقال الصيمرى أخبرنا عمر بن إبراهيم ثنا مكرم ثنا محمد بن عبد السلام حدثنى سليمان بن داود بن كثير الباهلى وعبد الوهاب بن عيسى قالالا حدثنا (أحمد بن) محمد بن أبى رجاء قال سمعت أبى قال رأيت محمد بن الحسن فى المنام فقلت له ما صنع بك ربك ؟ قال أدخلنى الجنة وقال لى لم أصيرك وعاء للعلم وأنا أريد أن أعذبك . قال قلت فأبو يوسف قال ذاك فوقى أو فوقنا بدرجة قال قلت فأبو حنيفة . قال : ذاك فى أعلى عليين أ ه . وقال ابن أبى العوام الحافظ : حدثنى محمد بن أحمد بن حماد قال حدثنى أحمد بن القاسم البرتى قال حدثنا أبو على أحمد بن محمد بن أبى رجاء قال سمعت أبى يقول : أريت محمد بن الحسن فى المنام فقلت إلى م صرت ؟ قال غفر لى قلت بهم ؟ . قال قال لم تجعل هذا العلم فيك إلا ونحن نغفر لك قال قلت فما فعل أبو يوسف قال فوقنا بدرجة قال قلت فأبو حنيفة قال : فى أعلى عليين أ ه . ولفظ الخطيب قريب من هذا إلا أنه يرويه بطريق ابن المغلس عن سليمان بن أبى شيخ عن ابن أبى رجاء عن مخمويه أحد الأبدال والله أعلم .

أغدق الله على ضريحه سجال رحمة ورضوانه ونفعنا بعلومه بمنه وكرمه انه قريب مجيب . وأخرج الصيمرى عن المرزبانى عن أبى بكر (بن دريد) عن سعيد السكرى قال أنشدنى اسمعيل بن أبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى عن أبيه أنه أنشد يرثى محمد بن الحسن والكسائى :

تصرمت الدنيا فليس خلود وما قد نرى من بهجة ستبيد
لكل امرئ منام الموت منهل فليس له إلا عليه ورود
ألم تر شيئا شاملا يبدر البلى وأن الشباب الغض ليس يعود

سيأتيك ما أفنى القرون التي مضت فكن مستعداً فالفناء عتيد
أسيت على قاضي القضاة محمد فذرفت دمعى والفؤاد عميد
وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا؟ بايضاحه يوماً وأنت فقييد
وأفلقنى موت الكسائي بعده وكادت بى الأرض الفضاء تميد
وأذهلنى عن كل عيش ولذة وأرق عينى والعيون هجود
هما عالمانا أوديا وتخرما فما لهما فى العالمين فديد
فحزنى متى تخطر على القلب خطرة بذكرهما حتى الممات جديد

وذكر مثل ذلك ابن عبد البر فى الاقتناء ويعزى إلى الرشيد
أنه أشهد :

أسيت على قاضي القضاة محمد فذرفت دمعى والفؤاد عميد
الآيات فلعله تمثل بآيات اليزيدى • انتهى ما أردنا ذكره فى هذه
العجالة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم بيد الفقير إليه سبحانه محمد زاهد بن الحسن الكوثري
عفى عنهما عصر يوم الخميس تاسع صفر الخير
من سنة خمس وخمسين وثلثمائة وألف

روشنی که از سحر زو بهمان طلوعه غافلید و با این وقت
بها رفت و بعد از اینها می رسد امینت رفت
مقاله قلمی که به سحر رسیده است

رقم الصفحة	اسم الموضوع
٣	المقدمة
٤	نسب ومولد الشيباني
٥	مبدأ أمره واتصاله بأبي حنيفة
٧	تسويحه في الحديث
٩	بعض أصحابه وتلاميذه وجملته ممن أخذ عنه
١٠	رحلته إلى مالک وسماعه الموطأ من لفظه
١١	بعض ما جرى بينه وبين مالک ومقارنة أهل العلم بينهما
١٤	صلته بتدوين مذهب مالک وتفقه أسد بن القرات عند محمد بن الحسن
٢٠	رحلة الشافعي إلى محمد بن الحسن وتفقه عنده
٣٥	أخذ محمد بن الحسن الفقه والحديث عن أبي يوسف
٣٩	هي الكذب من أي النواحي أتيتها
٤٠	زهد محمد بن الحسن في الحكم
٤٤	تلف لطيفه وفوائده ثمينه
٥٠	بعض أقوال منقولة عن أحمد بن حنبل بشأن كتب محمد ابن الحسن
٥٤	قول محمد بن الحسن في المسائل التي كان النزاع قائما فيها في عهده مما يتعلق بالاعتماد

اسم الموضوع رقم الصفحة

بعض كلمات أهل العلم في الثناء على محمد بن الحسن ٥٦

كتب محمد بن الحسن ومصنفاته ٦٢

أسانيد بعض كتب محمد بن الحسن المذكورة في
إثبات الشايخ ٦٩

وفاة محمد بن الحسن رضي الله عنه ٧٢

- ١- ...
- ٢- ...
- ٣- ...
- ٤- ...
- ٥- ...
- ٦- ...
- ٧- ...
- ٨- ...
- ٩- ...
- ١٠- ...
- ١١- ...
- ١٢- ...
- ١٣- ...
- ١٤- ...
- ١٥- ...
- ١٦- ...
- ١٧- ...
- ١٨- ...
- ١٩- ...
- ٢٠- ...
- ٢١- ...
- ٢٢- ...
- ٢٣- ...
- ٢٤- ...
- ٢٥- ...
- ٢٦- ...
- ٢٧- ...
- ٢٨- ...
- ٢٩- ...
- ٣٠- ...
- ٣١- ...
- ٣٢- ...
- ٣٣- ...
- ٣٤- ...
- ٣٥- ...
- ٣٦- ...
- ٣٧- ...
- ٣٨- ...
- ٣٩- ...
- ٤٠- ...
- ٤١- ...
- ٤٢- ...
- ٤٣- ...
- ٤٤- ...
- ٤٥- ...
- ٤٦- ...
- ٤٧- ...
- ٤٨- ...
- ٤٩- ...
- ٥٠- ...
- ٥١- ...
- ٥٢- ...
- ٥٣- ...
- ٥٤- ...
- ٥٥- ...
- ٥٦- ...
- ٥٧- ...
- ٥٨- ...
- ٥٩- ...
- ٦٠- ...
- ٦١- ...
- ٦٢- ...
- ٦٣- ...
- ٦٤- ...
- ٦٥- ...
- ٦٦- ...
- ٦٧- ...
- ٦٨- ...
- ٦٩- ...
- ٧٠- ...
- ٧١- ...
- ٧٢- ...
- ٧٣- ...
- ٧٤- ...
- ٧٥- ...
- ٧٦- ...
- ٧٧- ...
- ٧٨- ...
- ٧٩- ...
- ٨٠- ...
- ٨١- ...
- ٨٢- ...
- ٨٣- ...
- ٨٤- ...
- ٨٥- ...
- ٨٦- ...
- ٨٧- ...
- ٨٨- ...
- ٨٩- ...
- ٩٠- ...
- ٩١- ...
- ٩٢- ...
- ٩٣- ...
- ٩٤- ...
- ٩٥- ...
- ٩٦- ...
- ٩٧- ...
- ٩٨- ...
- ٩٩- ...
- ١٠٠- ...

رقم الايداع ٩٧/٣٧٦٦
الترقيم الدولي ٦٩٥ - ٥١٦٥ - ٩٧٧

دار التوحيد والجهاد في الدين والوطن
 سنة ١٤٥٢ هـ
 المجلد ٢، صفحان الأولى - بيروت - دار التوحيد

